الباب الأول

العلاقات النصية بين جهد العلماء وواقعية النص

مدخل:

إن الربط أو الوصل بين الماضي والحاضر أو بين القديم والحديث وذلك من خلال عرض أفكارهما – لا ريب - يعد منهجًا قويمًا لدراسة الفكر الإنساني عمومًا والفكر اللغوي خصوصًا. ولعله من الإنصاف أن نقول إن دراسات كثيرة في العصر الحديث قد قامت على نتاج ما تركه تراثنا العربي القديم. وقد أكدت القراءة في تراث الأقدمين أن هناك تحليلات لهم تقترب من التحليلات المعاصرة للنصوص.

وقد حثنا كثير من علماء اللغة المعاصرين على السعي الحثيث نحو الوصل أو الربط بين ما قدمه الماضي وما هو موجود بين أيدينا، وذلك بالنظر في أصول المنهج العربي، ثم دراسة هذه الأصول عل ضوء ما قدمته المناهج الحديثة[1].

بمعنى تحقيق الإفادة من هذه الجهود مع الجهود المعاصرة، حتى يتسنى لنا الوصول إلى تحليل نصي معاصر امتدت جذوره من الماضي إلى الحاضر أو من القديم إلى الحديث.

فليس إنصافًا أن نهمل أو نغفل أربعة عشر قرنًا من العمل الجاد في كثير من الدراسات العربية، فهذا – لاشك – أمر يعد في غاية الخطورة، ومن ثم «فإننا نؤمن أن البدء من الصفر المنهجي في هذا المقام – مقام الدراسات النصية – يعني إهدار أربعة عشر قرنًا من النتاج اللساني المتميز الذي هو إنجاز قوم من أعلم الناس بفقه العربية وأسرار تركيبها وذخائر تراثها...» [2]، ولن يتحقق طموح في وضع نظرية علمية دون إحياء الأفكار الصالحة في التراث، وكذا الإفادة من الدراسات الحديثة.. والإخلاص للبحوث التطبيقية[3].

---

(١) انظر: د. عبدد الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث صـ٦، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٨٨م.

(٢) د. سعد مصلوح ، نحو أجرومية للنص الشعري : دراسة في قصيدة جاهلية صـ١٥٣.

(٣) راجع: د. محمد العبد ، اللغة والإبداع الأدبي، صـ٨.

وهذه البحوث التطبيقية لابد أن تعتمد في منهجيتها على واقعية النص، الذي يعدُّ بتحليه طريقًا إلى اكتناه الوسائل أو العلاقات المعينة على تماسك النص وانسجامه. هذه جهة، ومن جهة أخرى يعدُّ التحليل النصي مفتاحًا، بل سبيلاً للوصول إلى أقسام هذه العلاقات، وكذا معايير تقسيمها.

وانطلاقًا من هذه المفاهيم جميعها جاء هذا الباب من هذه الدراسة للبحث والبت في أمرين:

أول هذين الأمرين: (جهد العلماء) ، حيث ما تناولوه من أفكار نصية قد يُهتدى بها أثناء عرض الظاهرة والتطبيق عليها، وذلك عبر منظورين: الأول منهما دراسة العلاقات النصية من منظور التراث العربي. والثاني دراسة العلاقات النصية من منظور بعض الدارسين المحدثين.

والأمر الثاني: (واقعية النص) ، حيث الارتكاز على واقع النص ودوره، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تحليله بغرض الكشف عن العلاقات النصية، وبيان فاعليتها وأثرها في تماسك وترابط وحداته، ولتحقيق هذين الأمرين جاء هذا الباب يشتمل على فصلين:

أولهما: العلاقات النصية من منظور التراث العربي وبعض الدارسين المحدثين.

والثاني: واقعية النص.. النص مورد العلاقات النصية.

وفي الصفحات التالية – إن شاء الله تعالى – عرض مفصَّل لما ورد من قضايا اشتمل عليها كل فصل منهما.

***

الفصل الأول

العلاقات النصية من منظور التراث العربي وبعض الدارسين المحدثين

توطئة الفصل:

يتناول هذا الفصل – كما هو بين من العنوان – عرض وبيان ما جاء في مصنفات تراثنا العربي من نظرات القدماء، ومنظوراتهم المتباينة حول استعمال العلاقات كظاهرة في تطبيقاتهم وتحليلاتهم النصية، وما ورد من نظرات ومواقف لدى بعض الدراسين المحدثين حول ظاهرة التماسك النصي وترابطه المعتمدة على شبكة العلاقات النصية.

كما أن هذا الفصل يسعى من وراء ذلك كله إلى محاولة استقصاء المبادئ والتصورات النصية التي يمكن أن تُتَخذ مرتكزات يُعتمد عليها في تحليل النص، ومن ثم الكشف عن العلاقات النصية واستجلائها فيه.

من أجل ذلك كله جاء هذا الفصل مخصصًا لدراسة هذا الجهد في صورة شقيه المشار إليهما.. واقتضت طبيعة هذا الفصل أن يكون في مبحثين:

الأول منهما خصص لدراسة العلاقات النصية من منظور التراث العربي.

وجاء الثاني لدراسة العلاقات النصية من منظور بعض الدارسين المحدثين.

المبحث الأول

العلاقات النصية من منظور التراث العربي

هناك مجالات متعددة في تراثنا العربي ارتبط نشاطها بالممارسات النصية: تذوقًا، وفهمًا، وشرحًا.فمنها ما هو في التراث البلاغي والنحو، ومنها ما هو في التراث النقدي، ومنها ما هو في تراث علوم القرآن والتفسير.

ففي مجال البلاغة نجد أن علاقة الفصل والوصل من العلاقات التي أخذت قدرًا كبيرًا من الاهتمام، بخاصة عند عبد القاهر الجرجاني، وأبي يعقوب السكاكي. ومما يؤكد أهمية هذه العلاقة أن البلاغيين جعلوها البلاغة نفسها؛ حيث تعريفهم للبلاغة بأنها: معرفة الفصل الوصل. ونظرًا لأهمية هذه العلاقة ودورها فسوف يتوقف البحث عندها؛ كي نستخلص أهم الأدوات التي اقترحها المتقدمون في هذا الموضوع، التي – لاشك – سيفيد منها البحث في هذه الدراسة.

وفي تراثنا النحوي نجد أن النحاة ــ أيضا ــ قد اهتموا بالربط والوصل بين الجمل، وذلك عبر أدوات يكفلها النظام النحوي.

وفي تراثنا النقدي قد انصب الاهتمام – أساسًا – بالشعر، فنجد نصوصًا نقدية استخدمت كلمات تنتمي إلى مفاهيم نصية، استعملت ظاهرة الربط والوصل بالعلاقات (وصفًا وتطبيقًا)، ومن هذه المفاهيم: الاتساق، والتآخذ، وأخذ الأبيات بعضها بعنق بعض، ورد الأعجاز على الصدور، والتحام الأجزاء، وذلك عند كبار النقاد من القدماء. مثل: حازم القرطاجني وغيره.

أما في مجال علوم القرآن والتفسير فقد شُغل العلماء بوحدة النص القرآني وتماسكه، وذلك رغم نزوله متفرقًا حسب الحوادث والمناسبات، ومن ثم أخذوا يبحثون عن أسباب هذا التماسك وتلك الوحدة. هذا، وقد أشار كثير من العلماء المهتمين بعلوم القرآن وكذا علماء التفسير أمثال السيوطي، والبقاعي، وأبي عمرو الداني والزمخشري والفخر الرازي والطاهر بن عاشور . أشاروا إلى كيفية ترابط آيات النص القرآني وجمله عبر علاقات نصية أفرزها النص نفسه رغم انتفاءالجهة الجامعة أو ما يسمى بالاختلاف في الغرض.

هذا، وسوف يشرع البحث في الحديث عن كل مجال من هذه المجالات السابقة بغرض الوقوف على أنواع العلاقات المستخدمة فِي كلِّ مجال منها.

أولاً: العلاقات النصية من منظور البلاغة والنحو

حظي مبحث علاقات الفصل والوصل بعناية القدماء ، وإن لم يكن ذلك على الوجه الأمثل . ولعل سر هذه العناية أن هذا المبحث يتناول دراسة الأسلوب دراسة شاملة[١].

وأعني بالدراسة الشاملة أن هذا المبحث لا يقف عند حدود الكلمة أو الجملة منفردة، بل يوسع دائرة البحث لتشمل علاقة الجملة الأولى بالثانية، والثانية بالثالثة، وهكذا[٢].

فعلاقات الفصل والوصل ليست مجرد ظاهرة لغوية تقترن بالعطف أو ترك العطف، وإنما هي ظاهرة دلالية من باب «أن ثمة جامعًا بين أطراف الكلام، ذكرت الواو أو لم تذكر»[٣]، هذا الجامع يتعلق بالاتصال المعنوي بين أجزاء الكلام؛ ولهذا كانت صعوبة هذا المبحث. وإلى هذا المعنى يشير عبد القاهر الجرجاني بقوله: «واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنه خفي غامض، ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب»[٤]، وعلى هذا الدرب سار البلاغيون

---

(١) ومبحث الفصل الوصل – كما يقول أستاذنا الدكتور محمد حماسة – إنه «من أهم المسائل النصية إذ يقوم جزء كبير من ترابط النص عليها» انظر: ظواهر نحوية في الشعر الحر: صـ١١٩، دار غريب القاهرة، ٢٠٠١م.

ويشير الدكتور محمد محمد أبو موسى إلى أن دراسة الفصل والوصل يمكن أن تكون بحوثًا رائعة ومختلفة، وذلك حينما نتأمل طرائق تكوين الجمل، وكيف يدخل الكلام بعضه في بعض، وكيف تنتهي مقاطعه وتبتدئ فواصله، وما هي الروابط التي تربط الجمل والفقر وكيف جرت(«الواو» والفاء، وثم)، وما هي المعاني التي وراء كل حرف من هذه الحروف وغيرها من أدوات العطف انظر: دلالات التراكيب صـ١٢ - ١٣.

(٢) انظر: د. عبد الواحدعلام، القاعدة والنص. دراسة في الفصل والوصل صـ ١٣. دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٧.

(٣) د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب صـ٣٣٤.

(٤) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:صـ٢٣١، قرأه وعلق عليه، محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني=

بعد عبد القاهر الجرجاني، إلا السكاكي يحاول أن يلفت النظر إلى أن من قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل فهو من باب التنبيه على مزيد غموض علاقات هذا الفن، قال السكاكي: «وما قصرها عليه؛ لأن الأمر كذلك، وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن، وأن أحدًا لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة إلا إذا كان خلف سائر عقباتها خلفه»[(١)].

ومن هذا المنطلق سوف يتوقف البحث – فيما يلي – مع علاقات الفصل والوصل في التراث البلاغي، وذلك من منظور كل من: عبد القاهر الجرجاني، وأبي يعقوب السكاكي، ثم مردفًا ذلك بحديث عن بعض العلاقات التي استخدمها البلاغيون القدامى في ربط أجزاء الكلام. وسوف يتوقف البحث – بعد ذلك – عند التراث النحوي ليرى موقفه من مفهوم أدوات الربط وكذا العلاقات التي تربط بين الجمل.

أ. العلاقات النصية من منظور البلاغة العربية

١- علاقة الوصل والفصل من منظور عبد القاهر الجرجاني

أولاً: علاقة الوصل بأداة:

ينطلق عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن علاقات الفصل والوصل من منطلق عطف بعض الجمل على بعض، أو ترك هذا العطف.

ونتبين ذلك من حديثه عن الضرب الثاني – وهذا يكون فيه الإشكال – من عطف الجمل، وهو عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب، حيث قال: «وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، كقولك: (زيد قائم، وعمرو قاعد، والعلم حسن، والجهل قبيح) لا سبيل لنا إلى أن ندعي أن (الواو) أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه. وإذا كان كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه، ولِمَ لم يستوِ الحال بين أن تعطف وبين أن تدع العطف؟»[(٢)].

=بجدة السعودية - مطبعة المدني - القاهرة. مكتبة الخانجي. القاهرة ط: ٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

وانظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين صـ٤٩٧. تحقيق د. مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. لبنان ١٩٨٧.

(١) السكاكي: مفتاح العلوم، صـ١٤١. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ط: ٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز صـ٢٢٣.

أي: إذا لم يكن العطف – أو تركه – ناشئًا من مرعاة هذا الاعتبار أو ذاك فلابد أن نبحث عن شيء آخر غير الإشراك في الحكم. وهذه الأشياء التي ينبغي مراعاتها ترجع – كما بين عبد القاهرالجرجاني – إلى المعانِي التي تكون بين الجمل، فالمعنى أو العلاقة هي الجهة الجامعة.

١- علاقة النظير أو الشبيه

وهو أن تعطف على الأول شيئًا له به علاقة أو صلة، يقول عبد القاهر: «وذلك أنا لا نقول (زيد قائم وعمرو قاعد) حتى يكون (عمرو) بسبب من (زيد) وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين، بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني»[(١)]، «ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله:

لا والذي هو عالمٌ أن النوى صَبِرٌ وأن أبا الحسين كريم

وذلك؛ لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر»[(٢)].

ويذهب بعض المحدثين إلى أننا لوتعاملنا مع هذا البيت لأبي تمام في إطار القصيدة (النص) لأمكننا تقبل البعد الفني في التركيب الإبداعي الذي جاء به أبو تمام، وسوف نكتفي بالأبيات التالية من تلك القصيدة التي يمدح فيها أباالحسين محمد بن الهيثم[(٣)].

أسقى طُلُولَهُمُ أجشُّ هزيمُ وغدت عليهم نضرةٌ ونعيمُ

جادت معاهدَهم عِهَادُ سحابةٍ ما عهدُها عند الديار ذميمُ

سَفِه الفراقُ عليكَ يومَ رحيلِهم وبما أراه وهو عنك حليمُ

---

(١) عبد القاهر الجرجاني؛ دلائل الإعجاز صـ٢٢٤.

(٢) المصدر السابق صـ ٢٢٥، فقد رأوا في قوله: (هو عالم أن النوى صبر، وأن أبا الحسين كريم)، - (الصَبرُ: عصارة شجر شديد المرارة، وقيل: هو الداء) – عطفًا بغير مناسبة؛ إذ لا علاقة في رأيهم بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى: راجع: د. عفت الشرقاوي ، بلاغة العطف في القرآن الكريم. دراسة أسلوبية ط. ١ دار النهضة العربية.

(٣) الخطيب التبريزي ، شرح ديوان أبي تمام ٣/ ٢٨٩ تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف، القاهرة، ط: ٤، ١٩٨٢.

ظلمتــك ظالمــةُ الــبريءِ ظلــومُ والظلــمُ مــن ذي قــدرةٍ مــذمومُ
زعمت هواك عفا الغداةَ كما عفت منهــا طلــول بــاللِوى ورســومُ
(لا والــذي هــو عــالمٌ أن النــوى صَــبِرٌ وأن أبــا الحــسين كــريم)
مازلتُ عن سَنَن الودادِ ولا غدت نفــسي عــلى إلــفِ سِــواكَ تَحــومُ

نرى أن فكرة الفراق، برغم مرارته وقسوته تكاد تسيطر على الشاعر، ثم نراه وقد جمع بينها وبين فكرة أخرى هي كرم ممدوحه، وعلى الرغم من أن الفكرة الأولى شائعة ومألوفة وموضع اتفاق، فإن الفكرة الأخرى ليست كذلك، ولكن الشاعر أراد بالجمع بينهما إضفاء صفة الشيوع والألفة عليها أيضًا، فإذا كان (النُّوى صَبر) أمرًا مقررًا وشائعًا ولا جدال فيه، فليكن كرم أبي الحسَين كذلك[1].

ويذهب باحث آخر إلى أن العلاقات الموجودة بين الأشياء عند الشاعر العظيم لها ارتباطها الوجداني الخاص الذي لا يخضع بالضرورة لمنطق عقلي عام، فقد يكون للعلاقة بين (المر) و(كرم) أبي الحسين ما يبررها في تجربة أبي تمام مع الممدوح. ومع ذلك فإن بين المتعاطفين من مفاجأة التضاد ما يريد الشاعر تحقيقه في ذهن السامع، وهو التضاد القائم بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين[2].

٢- ما يجري مجرى الشبيه والنظير

وذلك أنه كما يكون المحدَّث عنه في إحدى الجملتين بسبب من المحدَّث عنه في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر عن الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير أو النقيض للخبر عن الأول. فلو قلت: زيد طويل القامة وعمرو شاعر، فالعطف يكون (خلفًا)، لأنه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين الشعر، وكان الواجب أن يقال: زيد كاتب وعمرو شاعر، وزيد طويل القامة وعمرو قصير[3].

ويمكن أن يطلق على الحالتين السابقتين التضام النفسي، «وجملة الأمر أنها لا تجيء

---

(١) د.عبد الواحد علام، القاعدة والنص في دراسة الفصل والوصل صـ٢٧.
(٢) راجع: د.عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية صـ١٢١.
(٣) انظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: صـ٢٢٥.

(الجملة المعطوفة)؛ حتى يكون المعنى في هذه الجملة لفقًا لمعنى في الأخرى ومضامًا له، مثل أن (زيدًا وعمرًا) إذا كانا أخوين أو نظيرين أو مشتبكي الأحوال على الجملة، كانت الحال التي يكون عليها أحدهما، من قيام أو قعود أو ما شاكل ذلك، مضمونة في النفس إلى الحال التي عليها الآخر من غير شك»[١]، وذلك إذا تعلقت بالحديث عن الأشخاص.

أما إذا كان الحديث عن معانٍ مجردة مثل: العلم، والجهل، والحسن، والقبح، والطول والقصر.. فممكن تسميتها التضام العقلي. قال عبد القاهر: «فإنما قلت مثلاً: (العلم حسن والجهل قبيح)؛ لأن كون العلم حسنًا مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحًا»[٢].

ثانيًا: علاقة الوصل بدون أداة (الفصل)

وذلك يكون في الجمل التي تتصل بالتي قبلها من ذات نفسها، ولا تعتمد على أداة أو رابط شكلي ظاهر على سطح النص، وإنما تستغنى بربط معناها لها عن حرف يربطها، ويكون الوصل عندئذ عن طريق العلاقات الموجودة بين الجمل، وهي العلاقات التي تسوغ الفصل، وتجعله مقبولاً.

١ - وهذا يكون في الجملة المؤكدة للتي قبلها، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿الم {١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ{٢}﴾ [البقرة: ١ - ٢]، فقوله تعالى: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ بيان وتوكيد وتحقيق لقوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾[٣].

«ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ {٦} خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ{٧}﴾ [البقرة: ٦- ٧]، قوله تعالى: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، تأكيد لقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾، وقوله﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأول؛ لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذالم ينذر كان في غاية الجهل، وكان

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: صـ٢٢٥.

(٢) انظر: عبد القاهر ، دلائل الإعجاز صـ٢٢٦.

(٣) المصدر السابق صـ٢٢٧.

مطبوعًا على قلبه لا محالة»[١].

والتأكيد الثاني أبلغ من الأول؛ لأنه يضيف معنى جديدًا غير المعنى الذي أضافه التأكيد الأول.

ونستنتج من ذلك أن تأكيد جملة لأخرى يعد تماسكًا في النص على الرغم من أنه لم يعتمد على أداة أو رابط شكلي، ولكن التماسك الذي حدث هو نتاج الربط المعنوي.

٢ - ومن دواعي الوصل – أيضًا – بدون أداة لاختلاف صيغة الخطاب. يقول الجرجاني «ومما هو أصل في هذا الباب أنك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف ؛ لأمر عرض فيها صارت به أجنبية عما قبلها[٢] ويضرب الجرجاني مثالاً يوضح به هذه القضية:

«مثال ذلك قوله تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، الظاهر كما لا يخفى يقتضى أن يعطف على ما قبله من قوله:﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، وذلك أنه ليس بأجنبي منه، بل هو نظير ما جاء معطوفًا من قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وما أشبه ذلك.. ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف، والسبب في ذلك أن قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، حكاية عنهم أنهم قالوا: وليس بخبر من الله تعالى: أما قوله تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم. وإذا كان كذلك كان العطف ممتنعًا»[٣].

إذن فالعطف يمتنع إذا كان الخطاب قد انتقل بالحديث من الخطاب عن المستهزئين إلى أنه سبحانه يتحدث عن نفسه «لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى، معطوفًا على ما هو حكاية عنهم ولإيجاب ذلك أن يخرج عن كونه خبرًا من الله تعالى، إلى كونه حكاية عنهم»[٤].

---

(١) المصدر السابق صـ٢٢٨.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز صـ٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق صـ ٢٣١ - ٢٣٢.

(٤)المصدر السابق صـ ٢٣٢.

وليس الحال كذلك في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ٤]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ﴾ [آل عمران: ٣]، فقد جاءت جملة (مكر الله) معطوفًا على «مكروا»؛ وذلك؛ «لإن الأول من الكلامين فيهما كالثاني، في أنه خبر من الله تعالى وليس حكاية»[١].

وتأسيسًا على هذا يمكن أن نقول إن اختلاف صيغة الخطاب من الحكاية إلى الخبر أو العكس من دواعي الفصل في الكلام، أما إذا كان هناك اتفاق في صيغة الخطاب بأن يكون: (خبر وخبر) أو (حكاية وحكاية) فهنا يكون وصل الخطاب بأداة أو رابط شكلي.

٣- ومن دواعي فصل الكلام. كذلك – عند عبد القاهر الجرجاني اختلاف الجملتين إنشاء وخبرًا أو العكس، في اللفظ والمعنى.

مثل قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** {٥} **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** {٦}﴾ [الفاتحة: ٥ - ٦]، فالجملة الأولى وهي ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ جملة خبرية لفظا ومعنى، والجملة الثانية وهي: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ إنشائية لفظًا ومعنى، ومن هنا وجب الفصل بينهما وهذا ما قال به عبد القاهر «لا يعطف الخبر على الاستفهام»[٢].

٤- ومن دواعي فصل الكلام – أيضًا – وجود سؤال مقدر، والذي يدعو إلى تقديره هو بناء الكلام على هيئة سؤال مقدر، يقدره المتلقي، أو جواب ظاهر في سطح الخطاب، ومن ذلك – كما مثل عبد القاهر – قول اليزيدي:

ملكتــــه حــــبلي، ولكنــــه ألقــــاه مــــن زهــــد عــــلى غــــاربي
وقــال :إني في الهــوى كــاذب انــــــتقم اللهُ مــــــن الكــــــاذب

«استأنف قوله: (انتقم الله من الكاذب)؛ لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سؤالاً قال له: فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب؟، (فقال أقول: انتقم الله من الكاذب)»[٣].

أما ما ورد في التنزيل على هذا النحو فهو ما «تراه.. من لفظ (قال) مفصولاً غير

---

(١)المصدر السابق صـ ٢٣٢.

(٢) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز صـ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق صـ٢٣٨.

معطوف، هذا هو التقدير فيه، والله أعلم...»[١].

ومن ذلك ما جاء: «في قصة فرعون عليه اللعنة، وفي رد موسى عليه السلام كقوله: ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** {٢٣} **قَالَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُم مُّوقِنِينَ** {٢٤} **قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ** {٢٥} **قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ** {٢٦} **قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ** {٢٧} **قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** {٢٨} **قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ** {٢٩} **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ** {٣٠} **قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**{٣١} ﴾ [الشعراء: ٢٣-٣١]

جاء ذلك كله والله أعلم على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة بين المخلوقين»[٢].

غني عن البيان أن النص السابق للقرآن الكريم جاء متماسكًا، على الرغم من عدم وجود رابط شكلي يظهر في السطح، أي سطح الخطاب. والذي أسهم في هذا التماسك هو الاستفهام المقدر الذي يوجده المتلقي، ويتبع بالجواب، ثم يستمر الأمركذلك إلى أن ينتهي الحوار.

هذا، ويخلص عبد القاهر من الحديث عن علاقات الفصل والوصل إلى أن «ترك العطف يكون: إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحالين»[٣].

٢- علاقة الفصل والوصل من منظور السكاكي

ينطلق السكاكي في حديثه عن الفصل والوصل من مقولته التي صنف فيها العلاقة بين الجمل إلى ثلاثة أصناف:

١ - اتحاد يقع بين جملتين بحكم التآخي وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي.

٢ - أن يباين أحدهما الآخر مباينة الأجانب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب.

---

(١) المصدر السابق صـ٢٤٠.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز صـ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) المصدر السابق صـ٢٤٣.

٣ - أن يكونا بين بين لآصرة رحم ما هنالك، فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية كذلك[١].

فهذه الأصناف الثلاثة يكون عليها مدار الفصل والوصل الذي هو ترك العاطف (الواو) وذكره، فالفصل ترك (الواو) وفي العطف والوصل ذكرها.

أولاً: علاقة الوصل بدون أداة (الفصل)

١ - ويتم الوصل بدون أداة لعدم الالتباس أو لأمن اللبس، والمقصود به ألا يُفهم من الكلام خلاف ما يقصده منشئ النص بقرينة غير لفظية، ومنه قول الشاعر:

وتظنُّ سلمى أنني أبغِي بها بدلًا، أراها في الضلال تهيمُ

«فلم يعطف (أراها) كي لا يحسب السامع العطف على (أبغي) دون (تظن)، ويعد (أراها في الضلال تهيم) من مظنونات سلمى في حق الشاعر، وليس هو بمراد، إنما المراد أنه حكم الشاعر عليها بذلك»[٢].

إذن الشاعر لم يعطف (أراها في الضلال تهيم) على ما سبق من قول، خوفًا من اللبس الذي قد يقع فيه المتلقي بأن جملة (أراها في الضلال تهيم) معطوفة على جملة (أبغي) وليس هذا بمراد الشاعر،والنتيجة أن الفصل يقع إذا خيف اللبس.

ويطرح السكاكي سببًا آخر لعدم عطف (أراها) وهو القطع على سبيل السؤال المقدر، بحيث تكون (أراها) جوابًا على سبيل الاستئناف لهذا السؤال: فما قولك في ظنها[٣].

٢ - إذا كان الموضع السابق للوصل بدون أداة (الفصل) لأمن اللبس أو كما أطلق عليه السكاكي للاحتياط[٤]، فثم موضع آخر يكون الفصل فيه واجبًا، وهو ما سماه القطع للوجوب. ويمثل له السكاكي بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ { ١٤} اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فيبرر عدم وقوع العطف في قوله تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على النحو التالي:

(أ) أنه لو عطف لكان المعطوف عليه إما جملة ﴿قَالُوا﴾ وإما جملة ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم صـ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم صـ ١٤٧.

(٣) انظر: المصدر السابق صـ١٤٧.

(٤) انظر: المصدر السابق صـ١٤٧.

(ب) ولو عطف على ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ لشاركه في حكمه، وهو كونه من قولهم، وليس هو بمراد.

(جـ) ولو عطف على ﴿قَالُوا﴾ لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدم، وهو ﴿إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ وليس بمراد، فإن استهزاء الله بهم، وهو أن خذلهم متصل من شأنهم لا ينقطع بكل حال، خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم.

إذن فالعطف في هذا الموضع مستحيل ؛ لأنه يؤدي إلى اختلاف المعنى المراد؛ ولذا كان الفصل واجبًا. ولك أن تحمل ترك العطف في ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على الاستئناف، على تقدير سؤال: ما مصير أمرهم وعقبى حالهم، وكيف معاملة الله إياهم؟[١].

٣ - ومن مواضع الوصل بدون أداة أي (الفصل) لإتمام المعنى، والمقصود بتمام المعنى أن الكلام الأول له معنى إلا أنه لا يفي بقصد المتكلم، فيعده مرة ثانية بشكل أوفى للمعنى الذي يقصده، ولأن المعنى الثاني متمم للمعنى الأول؛ فكان من الواجب الفصل أو الوصل بدون أداة، ومن ذلك قول الشاعر:

أقولُ له ارحلْ لا تقيمنَّ عندنا وإلا فكن في السِّر والجهر مسلمًا

فقد فصل (لا تقيمنَّ) عن (ارحل) لقصد إتمام المعنى؛ لأن قوله (لا تقيمن عندنا) توضيح للمعنى المقصود من قوله (ارحل) وهو: عدم الرغبة في إقامته[٢].

٤ - ومن ذلك – أيضًا – الوصل بدون أداة (الفصل) لداعي الإيضاح، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾ [طه: ١٢]، فلم يعطف (قال) على (وسوس) لكونه تفسيرًا له وتبيينًا[٣].

٥ - ويفصِّل السكاكي الحديث عن الفصل الذي يحدث نتيجة لعدم اتصال المعنى، ويطلق عليه (الفصل للانقطاع)، «فلو قال قائل: زيد منطلق، ودرجات الحمل ثلاثون، وكمُّ الخليفة في غاية الطول، وما أحوجني إلى الاستفراغ، وأهل الروم نصارى، وفي عين الذباب جحوظ، وكان جالينوس ماهرًا في الطب، وختم القرآن في التراويح

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم صـ١٤٨.

(٢) انظر: المصدر السابق صـ١٥٠.

(٣) انظر: المصدر السابق صـ١٥٠.

سنة... فعطف أخرج من زمرة العقلاء وسجل عليه بكمال السخافة أوعُدَّ مسخرة من المساخر.. بخلافه إذا ترك العطف ورمى بالجمل رمى الحصا والجوز من غير ائتلاف بينها فالخطب إذن يهون هونًا ما»[١].

إن الجمل السابقة متماسكة شكلاً على المستوى النحوي، وذلك بوجود أدوات العطف، ولم يشفع لها ذلك القبول لدى المتلقي، ولذلك يفرض علينا حديث السكاكي السابق أن نقول: إنه لا يلزم لقبول الخطاب أو النص من المتلقي أن يكون متماسكًا على المستوى النحوي فحسب، ولكن يجب أن يكون متماسكًا على المستوى الدلالي الذي يضمن للخطاب أو النص كوحدة دلالية واحدة قبولاً لدى المتلقي.

ثانيًا: علاقة الوصل بأداة

١ - من دواعي الوصل بأداة اختلاف الأفعال الكلامية خبرًا لكن المقام يزيل الاختلاف، وذلك عن طريق «تضمين الخبر معنى الطلب أو الطلب معنى الخبر»[٢] نحو قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {٨} يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٩} وَأَلْقِ عَصَاكَ.... ﴾ [النمل: ٨ - ١٠].

فالكلام مشتمل على تضمين معنى الخبر لقوله: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾؛ ولذا جاء معطوفًا على قوله: ﴿أَن بُورِكَ﴾، والمعنى: فلما جاءها قيل: بورك وقيل: ألق عصاك[٣].

٢ - وقد اشترط السكاكي لوصل الجملتين بأداة أن يكون هناك جهة جامعة من جهة العقل أو الوهم أو الخيال.

فالجامع العقلي: هو أن، يكون بينها أي: (الجملتين) اتحاد في تصور، مثل الاتحاد المخبر عنه، أوفي قيد من قيودها أو تماثل هناك.. أو تضايف كالذي بين العلة والمعلول، والسبب والمسبب، أو السفل والعلو، والأقل والأكثر. فالعقل يأبى ألا يجتمعا في الذهن[٤].

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم صـ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) المصدر السابق صـ١٤٦.

(٣) المصدر السابق صـ١٤٦.

(٤) المصدر السابق صـ١٤٢ - ١٤٣.

والجامع الوهمي: هو أن يكون بين تصوراتهما شبه تماثل نحو أن يكون المخبر عنه في أحدهما لون بياض وفي الثانية لون صفرة، فإن الوهم يجتال في أن يبرزهما في معرض المثلين، مثال:

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتها شمسُ الضحى وأبو إسحقَ والقمر

أو تضاد: كالسواد والبياض، والهمس والجهارة، والطيب والنتن، والحلاوة والحموضة، أو شبه تضاد: كالذي بين السماء والأرض، والسهل والجبل.. فإن الوهم يُنزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن، ولذل تجد الضد أقرب خطورًا بالبال مع الضد»[1].

نخلص مما تقدم إلى أن الجامع العقلي والجامع الوهمي مفهومان عامان، فالجامع العقلي يجمع عناصر متحدة التصور أو متماثلة أو متضايفة، والجامع الوهمي يجمع عناصر شبه متماثلة أو متضادة وشبه متضادة. وهذه العلائق – لا ريب – تحدث نوعًا من التماسك الدلالي للجمل.

أما الجامع الخيالي فهو: «أن يكون بين تصورهما تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك، فإن جميع ما يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدَّى إليه ويتكرر لديه، ولذلك لما لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر اختلفت الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتبا ووضوحًا، فكم من صور تتعلق في الخيال، وهي في آخر ليست تتراءى، وكم صور لا تكاد تلوح في الخيال وهي في غيره نار على علم، وإن أحببت أن تستوضح ما يلوح به إليك، فحدق إليه من جانب اختبارك تلق كاتبًا بتعديد: قرطاس ومحبرة وقلم، ونجارًا بتعديد: منشار وقدوم وعتلة»[2].

فيأتى قبول هذه المعدودات السابقة؛ لأنها ما يجمعه العرف والرسم، فهي على وقف الثابت في خيال المتلقين لا يستبعدون العد (أي ذكر الشيء مع لفقه)، ولا يقفون له موقف نكير، وإذا

(١) السكاكي، مفتاح العلوم صـ١٤٣.
(٢) المصدر السابق صـ ١٤٣.

غيرته إلى نحو: محبرة ومنشار وقلم وقدوم، جاء الاستبداع والاستنكار[١].

وهكذا يختم السكاكي كلامه قائلاً في الجامع الخيالي «فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال، وأن الأسباب تتباين في شأن الجمع بين صور وصور»[٢].

إن مدار الأمر كله كما هو واضح على ما تنعقد به الأسباب في استيداع الصور في الخيال؛ لأن الأسباب تتباين وتختلف من شخص إلى آخر، كل حسب اهتمامه الذي يمارسه، وإن ثمة علائق وعلاقات بين عناصر خطاب أو نص يصعب على إنسان الجمع بينها في خياله، ولكنها قد تكون ممكنة سهلة متآخذة في خيال آخر.

٣- علاقات نصية في تعليقات البلاغيين

- (علاقة المتقابل) تتجلى علاقة التقابل في فن المقابلة، ففيها «يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب»[٣]، وذلك كما في قول المتنبي:

فلا الجود يُفنى المال والجَدُّ مقبلٌ ولا البخلُ يُبقى المال والجَدُّ مُدْبرُ

وفي مثل البيت تعاضد التوازي التركيبي وتشابك مع التقابل الدلالي، وهذا التعاضد هو أفضل أنواع المقابلة عند ابن رشيق؛ إذ نجده يعقب على قول النابغة الجعدي.

فتى تم فيه ما يَسُرّ صديقَه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

حيث قال: «فقابل يسر بيسوء، وصديقه بأعادي، وهذا جيد. ولو كان مقابل على وزن مقابله في هذا البيت لكان أجود. وقال عمر بن معدي كرب الزبيدي:

ويبقى بعد حِلم القوم حِلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي

فقابل (يبقى بعد) ثم قال (يفنى قبل). فهذا ما أردنا»[٤].

---

(١) انظر السكاكي، مفتاح العلوم صـ١٤٣.

(٢) المصدر السابق صـ ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة صـ٤٨٥، شرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب ١٩٨٩م.

(٤) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ١٦ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ١٩٧٢م.

- (علاقة التكرير) والتكرير الذي نقصده هنا ويعدُّ - علاقة نصية وهو من صور التماسك النصي - هو التكرير المعجمي الذي يقع بين الجمل في النص، وليس في الجملة الواحدة، أو داخل الكلملة الواحدة وهو ما يُعرف بالتكرير الصوتي؛ لأن البحث ينظر إلى التكرير على أنه علاقة تعد من وسائل التماسك النصي.

وقد تحدث علماء البلاغة القدامى عن التكرير وأقسامه، وسوف يركز البحث هنا على الأنواع التي تخدم غرض الدراسة النصية التي نقوم بها.

أ- علاقة الترديد : وهي أحد أنواع علاقة التكرير التي ذكرت في علم البديع، والترديد كما عرفه ابن أبي الإصبع المصري: «أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يرددها بعينها بمعنى آخر»[(١)]، وهو ما يسمى (إيهام التأكيد) وهو عبارة عن أن يُعيد المتكلم في كلامه كلمة فأكثر مرادًا بها غير المعنى الأول، حتى يتوهم السامع من أول وهلة أن الغرض التأكيد وليس كذلك[(٢)].

ومن أمثلته: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فلفظ الجلالة الأول مضاف إليه، والثاني مبتدأ بها.

ويلتفت ابن أبي الإصبع إلى وظيفة السبك التي يؤديها (الترديد) وإن عبر عنه بصيغة أخرى، وعدها – بشروط معينة – نوعًا من أنواع الترديد، حيث قال: «ومن الترديد نوع آخر يسمى ترديد الحبك ويسمى بيته المحبوك، وهو أن تبنى من جمل ترد فيها كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية، وكلمة من الثالثة في الرابعة، بحيث تكون كل جملتين في قسم ، والجملتان الأخيرتان غير الجملتين الأوليين في الصورة، والجمل كلها سواء في المعنيين، كقول زهير:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطَّعنوا ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فقد ردد كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية، وردد كلمة من الجملة الثالثة في الجملة الرابعة، اثنتان في كل قسم، وكل جملتين متفقتان في الصورة غير أنهما مختلفتان،

---

(١) ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ٢/ ٢٥٥، تحقيق د. حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث. القاهرة. بدون.

(٢) انظر: د.عز الدين السيد ، التكرير بين المثير والتأثير صـ ٢٣٢ ، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٦.

إذا نظرت إلى كل قسم وجملته وإن اشتركا في المعنى، فإن صورة الطعن غير صورة الضرب، ومعنى الجميع واحد، وهو الحماسة في الحرب»[١].

ب - علاقة رد العجز على الصدر : وهي من الأنواع البديعية التي تعتمد على تكرير اللفظ، وهو – كما عرفه الخطيب القزويني – «في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها»[٢].

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

وحين نرجع إلى تحليل ابن أبي الإصبع للآيات عينها، نجد فيه التفاتًا إلى رد عجز هذه الآي على صدر آية أخرى سابقة، حيث يقول: «فإن قيل لفظة (القوم) زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة ؛ لأنها إذا طرحت استقل الكلام بدونها، بحيث يقال: (وقيل بعدًا للظالمين)، قلت: لا يستغني الكلام عنها؛ وذلك أنه لما قال سبحانه في أول القصة ﴿**وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ**﴾ وقال بعد ذلك و﴿**لاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ**﴾ جاءت لفظة (القوم) في آخر القصة، ووصفهم بالظلم ليرتد عجز الكلام على صدره، ويعلم أن القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح عليه السلام، فهم مستحقون العقاب؛ لئلا يتوهم ضعيف أن الطوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحق الهلاك، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الهالكين هم الذين تقدم ذكرهم..»[٣].

والذي يهمنا – هنا – هو أن ما يسمى رد العجز على الصدر مندرج في مظهر خطابي معجمي قائم على الإعادة أو المرجعية، وهذا – ولا ريب – يساعد على تماسك النص أو الخطاب على مستوى المعجم.

---

(١) ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير ٢/ ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة صـ٥٤٣.

(٣) ابن أبي الإصبع المصري ، يديع القرآن صـ٨٠ - ٨١، تحقيق د. حفني محمد شرف دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط: ٢، ١٩٧١م.

جـ - علاقة المراجعة : وهي نوع من أنواع التكرير، وقد سماها علماء البديع – أيضًا – (السؤال والجواب) ومنه قول الشاعر:

قالت: ألا لا تَلِجَنْ دارنا	إن أبانا رجل غائر
قلت: فإني طالبٌ غرةً	منه وسيفي صارم باتر
قالت: فإن القصر من دوننا	قلت: فإني فوقه طافر[1]
قالت: فإن البحر من بيننا	قلت: فإني سابح ماهر
قالت: فحولي إخوة سبعة	قلت: فإني غالب ظافر
قالت: فليث رابض بيننا	قلت: فإني أسد عاقر[2]

فـ(المراجعة) – هنا – حاصلة بترديد القول، وأنه لم يربط رابط شكلي بين السؤال والجواب، والسؤال لا يخفى هنا مقدر، ومع ذلك جاء النص منسجمًا متماسكًا لدى المتلقي.

هذا، ولعله فيما تقدم من حديث ما يؤكد على أن علاقة التكرير صورة من صور التماسك على المستوى المعجمي، وعلى المستوى التداولي بالنظر إلى النوع الأخير.

ب: العلاقات النصية من منظور النحو العربي

تترابط الجمل فيما بينها فتكوِّن الخطاب أو النص مُتسقًا مُنسجمًا بوسائل يكفلها النظام النحوي ليحقق التماسك والانسجام في النصوص المختلفة.

ولقد شاع بين الدارسين أن التراث النحوي لم يُعنَ بالنظر في هذا المجال، وأنه وقف عند حدود الجملة الواحدة، وهذا الأمر فيه نظر؛ لأن منهج النحاة جاء أكثر استيعابًا لصور الترابط بين الجمل؛ حيث لم يقصروا الربط – ولم يقتصروا – على أداة واحدة كما صنع البلاغيون حين تناولوا مبحث الفصل والوصل.

فالوصل له أداة واحدة هي «الواو العاطفة» عند البلاغيين، أما النحاة فإن الربط أو الوصل بين الجمل له أدوات متعددة.

---

(١) (طافر) من (طفر)، و(الطَّفر): وثبة في ارتفاع، كما يطفر الإنسان حائطًا، أي يَثبُه، الطفرة الوثبة. ابن منظور: لسان العرب مادة (طفر). دار المعارف. القاهرة.

(٢) د. عز الدين على السيد ، التكرير بين المثير والتأثير صـ ٢٥٨.

كذلك لم يقف النحاة عند النظر في علاقة واحدة بين الجمل هي «العطف» وإنما يتسع النظر إلى علاقات أخرى بحسب أنواع الجمل: أما البلاغيون فالوصل عندهم: هو عطف جملة على أخرى والفصل هو ترك العطف كما بين البحث عند حديثه عن علاقات الفصل والوصل.

وهكذا (الفصل) فإن البلاغيين يعبرون عنه بنوع واحد من الاستئناف هو الاستئناف البياني، في حين نجد الاستئناف عند النحاة أكثر شمولاً.

ويوضح المبرد قيمة التمييز بين الجمل التي تحتاج إلى أداة تربط بينها في النص، والجمل المترابطة بغير أداة فيقول: «تقول: «مررت برجل زيد خير منه، و«جاء في عبد الله أبوه يكلمه» بغير الواو، وإن شئت قلت:«.... وزيد خير منه» و «... وأبوه يكلمه» بالواو. فإذا قلت: «مررت بزيد عمرو في الدار» فهو محال إلا على قطع خبر واستئناف آخر فإن جعلته كلامًا واحدًا قلت: «مررت بزيد وعمرو في الدار» وهذه الواو التي يسميها النحويون (واو) ابتداء»[(١)].

ويعبر ابن السراج في الأصول عن فهم النحاة لقيمة ترابط الجمل في النص وأن النص القرآني قد اتسم بالاتساق والترابط، فيقول: «إن مجاز القرآن كله مجاز سورة واحدة بعد ابتدائه وأن بعضه متصل ببعض»[(٢)].

إن الحد الأدنى للنظر النحوي هو الجملة الواحدة، أما مجال النظر الفسيح فهو الجمل الكثيرة التي بتواليها وترابطها يكون النص مستقلاً، ثريًا بدلالاته ومعانيه . وكما يقول ابن جنى: «لا يتصف بالاستحسان والاستعذاب إلا النص المستقل المكون من جمل متسقة؛ لأن الحديث الحسن لا يكون مع الجملة الواحدة دون أن يتردد الكلام، وتتكرر فيه الجمل فيبين ما من العذوبة وما في أعطافه النعمة واللدونة»[(٣)].

فالنظر النحوي يخسر كثيرًا إن هو قنع بالوقوف عند حدود الجملة الواحدة ولم

---

(١) المبرد ، المقتضب ٤/ ١٢٥، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث ط:٢، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) ابن السراج ، الأصول في النحو ١/ ٤٠١، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: ٣ ، سنة ١٩٨٨.

(٣) ابن جنى، الخصائص ١/ ٤٢ تحقيق عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية.

يتجاوزها إلى آفاق البحث في ترابط الجمل في النص. وإلى هذا يرشدنا عبد القاهر الجرجاني حين قال: «وينظر – يعني الناظم – في الجمل التي تسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء) وموضع (الفاء) من موضع (ثم) وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل)»[١].

وهذا – لا شك - من صميم علم النحو، لأنه من جملة معاني النحو وأحكامه وأصوله وأبوابه.

وتظهر عناية النحاة مبكرة بطرق ترابط الجمل من خلال نصوص عديدة، منها نص لسيبويه في «باب بدل المعرفة من النكرة والمعرفة من المعرفة وقطع المعرفة من المعرفة مبتدأة»[٢].

ويصف سيبويه صورة من صور الترابط بين الجمل بدون أداة عطف لوجود علاقة نحوية بين الجملتين هي علاقة البدلية، فيقول: «وإن شئت قلت: (مررت برجل عبد الله) كأنه قيل لك: من هو؟ ومن البدل أيضًا: «مررت بقوم عبد الله وزيد وخالد. والرفع جيد»[٣].

وكما هو واضح يقدم سيبويه – هنا – وسيلة رابطة تغنى عن ذكر الأداة، هي أن يقدر الناظر في النص سؤالاً من المتلقي الذي يستمع إلى هذا النص، فيتساءل بعد أن سمع الجملة الأولى، وتجيء الجملة الثانية جوابًا لهذا السؤال الذي يتخيله.

ويتعرض سيبويه للقطع والاستئناف فيتحدث قائلاً: «وأما الذي يجيء مبتدأ فقول الشاعر:

ولقد خبطنَ بيوت يشكر خبطة أخوالنا وهم بنو الأعمام

كأن قال: «خبطن بيوت يشكر» قيل له: «ما هم؟» فقال: «أخوالُنا وهم بنوا الأعمام». وقد يكون «مررت بعبد الله أخوك كأنه قيل له: «من هو؟» أو«من عبد الله؟»

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز صـ٨٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٢/ ١٤.

(٣) سيبويه، الكتاب ٢/ ١٥.

يقال: «أخوك»... وتقول: «مررت برجل الأسد شدة، كأنك قلت: «مررت برجل كامل؛ لأنك أردت ن ترفع شأنه، وإن شئت استأنفت، كأنه قيل له: ما هو؟ ولا يكون صفة...» [١].

والقطع والاستئناف – مثلاً – خير دليل على اتساع مفهوم النحاة لفكرة العلاقات، أو الربط بين الجمل، ويبدو ذلك واضحًا عند حديثهم عند الجمل التي لا محل لها من الإعراب، ومنها الجملة (المستأنفة).

والجمل (المستأنفة) المقصود بها هنا: «الجملة المنقطعة عما قبلها نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا {٨٣} إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ...﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٤]، وهي كما يقول المبرد: «على قطع خبر واستئناف آخر»[٢]. فالجملة المستأنفة تنشأ من انقطاع الكلام، حيث يستأنف المتكلم كلامًا جديدًا لايرتبط بما سبق بعلاقة نحوية كالجملة التابعة أو الخبرية أو الحالية، وإن كان هناك علاقة أخرى رابطة هي المعنى.

وقد اهتدى النحاة إلى طريقين توضحان هذا الارتباط هما:

١ - تقدير سؤال من المخاطب تجيء الجملة المستأنفة جوابًا له[٣].

٢ - وقد لا يحتاج فيه إلى تقدير سؤال، لكونه جملة تامة.

وذلك كثير جدًا نحو الجملة المنفية وما بعدها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] [٤].

فقد التمس النحاة – هنا – علاقة معنوية هي التعليل: يقول الزمخشري: «فإن قلت: ما وقع هذه الجمل؟ قلت: يجوز أن يكون (لا يألونكم) صفة للبطانة، وكذلك (قد بدت البغضاء) كأنه قيل: بطانة غير آليكم خبالاً بادية بغضاؤهم، وأما (قد بينا) فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٦ - ١٧.

(٢) المبرد، المقتضب ٤/ ١٢٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ٢/ ١٥.

(٤) انظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/ ٤٤٣ -٤٤٤.

اتخاذهم بطانة»[١].

وهذا إن دل إنما يدل على أن مفهوم الاستئناف عند النحاة أشمل منه لدى البلاغيين الذين يقصرونه على ما يجيء جوابًا لسؤال مقدر[٢].

ثانيًا: العلاقات النصية من منظور النقد الأدبي

يحاول البحث في هذه الدراسة – هنا - أن يستخلص مفاهيم عن العلاقات التي طرحها النقد الأدبي القديم في مجال تماسك النص وترابطه.

بداية نلتقي مع ابن طباطبا العلوي أحد النقاد القدامى الذين شغلتهم المعالجة النصية، حيث قال: «وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها ويتصل الكلام فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه...، ويتفقد كل مصراع: هل يشاكل ما قبله؛ فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحدٍ منهما في موضع الآخر، فلا يُنبه على ذلك إلا من دق نظره ولطف فهمه»[٣].

«إن انتظام المعاني واتصال الكلام في إشارة ابن طباطبا السابقة – كما يقول الدكتور محمد العبد – أمور ينبغي لها أن تفهم في ضوء مبدأ الاستمرارية المعنوية التي توفر للخطاب حبكًا طويلاً هو نواة أبنيته الصغرى، كما توفر له حبكًا كليًا هو نواة بنيته الكبرى، فاتصال الكلام وانتظام المعاني يؤديان بالضرورة إلى المشاكلة بين أجزاء القول»[٤].

يذكر ابن طباطبا أن البيتين التاليين قد رويا لامرئ القيس هكذا:

كـأني لم أركـب جـوادًا للـذة ولم أتـبطن كاعبًـا ذات خِلخـال

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/ ٤٥٨ - ٤٥٩ دار الفكر بيروت.

(٢) ابن هشام، مغني اللبيب ٢/ ٤٤٤.

(٣) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، صـ٢٠٩، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي. القاهرة د. ت.

(٤) د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال صـ١٠٣ الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة. د. ت.

ولم أسبإ الزِّق الروي ولم أقل لخيلي كُرى كَرة بعد إجفال

هكذا الرواية: قال ابن طباطبا: «وهما بيتان حسنان. ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر، كان أشكل وأدخل في استواء النسج، فكان يروى:

كأني لم أركب جوادًا، ولم أقل لخيلي كُرى كَرة بعد إِجفال

ولم أسبإ الزِّق الروي للذة ولم أتبطن كاعبًا ذات خلخال[1]

وهكذا يقضي مبدأ انتظام المعاني واتصال الكلام أن يكون نص الشاعر هو المتمتع بالمشاكلة، وذلك أن ركوب جواده في المصراع الأول يشاكله أمر خيله بالكر في المصراع الثاني. فالكلام هكذا متصل، والمعاني هكذا منتظمة[2].

هذا ، ويشير (الحاتمي) إلى وحدة القصيدة، وذلك من خلال حديثه الذي ذكر فيه أن «القصيدة مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض. فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه، وتُعفِّى معالم جماله.. وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسيبها بمديحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لاينفصل جزء منها عن جزء»[3].

وحديث الحاتمي في تشبيه القصيدة بخلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض يدل دلالة واضحة على مفهوم الوحدة العضوية في القصيدة وهذا – لا ريب – لا يتأتى إلا بالترابط الذي تؤدي فيه العلاقات دورًا ملموسًا حيث التماسك والانسجام.

هذا على المستوى التنظير، وإذا انتقل بنا الحديث إلى مستوى التطبيق فإننا نجد حازم القرطاحني من بين النقاد القلائل الذين عنوا بتطبيق مفهوم التماسك، وكذا رصد العلاقات التي من شأنها سبك النص وحبكه. ومن ذلك – مثلاً – تطبيقه على إحدى القصائد التي أنشدها «المتنبي» والتي مطلعها:

---

(١) ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر صـ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) انظر: د. محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال، صـ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) يوسف بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث صـ١٩٧، دار الأندلس، بيروت سنة ١٩٨٢.

أُغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ وأَعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أَعجبُ

حيث تحدث حازم القرطاجني عن تماسك الفصل[١] وشروط هذا التماسك، فتكلم عن العلاقات المعنوية بين الأبيات المشكلة للفصل الواحد، وذلك «بأن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقًا به من باقي معاني الفصل قبل أن يكون: مقابلاً له على جهة من جهات التقابل، أو بعضه مقتضى له، مثل أن يكون مسببًا عنه أو تفسيرًا له أو محاكي بعض ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر»[٢].

والعلاقات المعنوية السابقة (المقابلة والاقتضاء: السببية، والتفسير، والمحاكاة) – لا شك - تسهم بقدر كبير في تماسك الفصل.

ثم انتقل القرطاجني بعد ذلك من الحديث عن تماسك وترابط الفصل إلى تماسك وترابط الفصول، حيث يقول: «وربما ختم الفصل بطرق من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة إلى بعض معانيه»[٣].

فوحدة الغرض – لا شك – بين الفصول تسهم في تماسك الفصول وترابطها واشتمال الفصل السابق على معنى يتضمنه الفصل اللاحق -إن تضمنه جزءٌ من هذا المعنى - يسهم –أيضًا - في تماسك النص، وهذا التماسك وذلك الترابط (وحدة الغرض (الموضوع)، اتصال المعنى) يعد تماسكًا على المستوى الدلالي.

ومن بين العلاقات الدلالية التي أشار إليها القرطاجني والتي تساعد – كذلك - على تماسك الفصول علاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الخاص بالعام ، ويتضح ذلك من حديثه عن قصيدة المتنبي التي مطلها:

أُغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أَغلبُ وأَعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أَعجبُ

والشاهد على هذه العلاقات من القصيدة قوله:

---

(١) المراد بـ(الفصل) من منظور حازم القرطاجني: البيتان إلى أربعة الأبيات التي تعالج معنى واحدًا.

(٢) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء صـ٢٩٠ تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخواجه، دار الكتب الشرقية . تونس ١٩٦٦.

(٣) المصدر السابق صـ٢٩٠.

ويـوم كليـل العاشـقينَ كَمَتُـه ... أراقـبُ فيـه الـشمسَ أيَّـانَ تغـربُ
وعينـــي إلى أُذنيَ أغـــرَّ كأـــنه ... مـن الليـل بـاقٍ بـين عينيـه كوكـبُ
شـققتُ بـه الظلـماءَ أدْني عِنانـه ... فيطغـى وأرخيـه مِـرارًا فيلعـبُ
وأَصرَعُ أيَّ الـوحش قَفَّيتُـه بـه ... وأَنـزلُ عنـه مِثلَـه حـين أركـبُ
ومـا الخيـلُ إلا كالـصديقِ قليلـةٌ ... وإن كَثُـرت في عـين مـن لا يجـرِّبُ

ويعلق حازم على هذه الأبيات وسابقاتها بقوله: «ثم اطرد كلامه في هذا الفصل في وصف الفرس، وانتقل فيه من معان جزئية إلى معان كلية يمكن معها أن يعتقد في الكلام أنه فصل واحد، وأن يعتقد أنه فصلان ويكون رأس الفصل الثاني قوله: «وما الخيل إلا كالصديق قليلة...»[1].

والعلاقات السابقة (الجزء والكل – الخاص والعام) أظن أنه لا يكاد يخلو منها نص، مستهدفًا في ذلك تحقيق درجة معنية من التواصل، سالكًا في ذلك بناء اللاحق على السابق.

تلك محاولات ـ لاشك ـ تؤكد أن القدماء كانوا يهتمون اهتمامًا كبيرًا بوحدة المبنى في القصيدة – وخاصة عند حازم القرطاجني – كما كانوا يهتمون بتلاحم الأجزاء، لكنه – كما عبر أحد الباحثين – لم يكن ليمتد إلى القصيدة كاملة[2].

ثالثًا: العلاقات النصية من منظور علوم القرآن والتفسير

أ) العلاقات النصية من منظور علوم القرآن

أما بالنسبة لمجال علوم القرآن فيمكن – بداية – الإشارة إلى أن القرآن الكريم نزل متفرقًا بحسب الأحداث، واستغرق نزوله نيفًا وعشرين عامًا، ومع ذلك يقال إنه كالكلمة الواحدة، ولهذا وجدنا العلماء المهتمين بعلوم القرآن يستخدمون مصطلحات تنتمي إلى مجال التماسك النصي، مثل: المناسبة بين الآيات، والنظم، وكيفية الاتصال، وكيفية التناسب.. إلخ . يوضحون بهذه المصطلحات تماسك النص القرآني وترابطه.

---

(١) حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء صـ٢٩٩.

(٢) يوسف بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث صـ٣١٦.

وقد ذكر الزركشي في البرهان ما يدل على الاهتمام بالمناسبة بين الآي والسور، من ذلك قول القاضي أبي بكر بن العربي في (سراج المريدين): «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض ـ حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني ـ علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقر، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[(١)].

والمناسبة في اللغة هي: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات والنص القرآني إلى معنى رابط بينها: «عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين .....»[(٢)].

إن المناسبة بين الآيات والسور تقوم على أساس أن النص القرآني وحدة مترابطة الأجزاء ومهمة المحلل الذي يتعامل معه محاولة اكتشاف العلاقات أو المناسبات التي تربط بين الآيات، وكذلك التي تربط بين السورة والأخرى.

وإن وحدة النص القرآني بوصفه بناء مترابط الأجزاء هي الغاية التي يبحث عنها (علم المناسبة).

هذا والمناسبة بعلاقاتها تنقسم إلى: مناسبة على مستوى السورة نفسها حيث ترابط أجزائها النصية، ومناسبة على مستوى السور، حيث ترابط وتماسك المقاطع والمطالع وكذا المناسبة بين حواشي واحداتها النصية.

١ - (المناسبة بين الآيات في السورة) قسم الزركشي الترابط والتماسك بين الآيات إلى قسمين:

القسم الأول: وتكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، ويكون وجه العطف بين الآيتين قائمًا على أساس من علاقة جامعة أو جهة جامعة. وقد تكون معطوفة على ما قبلها ويشكل وجه الارتباط، فيحتاج إلى شرح، فمنها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث. القاهرة.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٥.

الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] . فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه.

أحدها: كأنه قيل لهم عن سؤالهم عن الحكمة من تمام الأهلة ونقصانها: معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة، ومصلحة لعباده، فدعوا السؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم، مما ليس من ا لبر في شيء وأنتم تحسبونها برًا[١].

والثاني: أنه من باب الاستطراد، لما ذكر أنها مواقيت الحج، وكان هذا من أفعالهم في الحج، ففي الحديث: أن أناسًا من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطًا ولا دارًا ولا فسطاطًا من باب، فإن كان من أهل المدر نقب نقبًا في ظهر بيته، منه يدخل ويخرج، أو يتخذ سلمًا يصعد به، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الجناء، فقيل لهم: ليس البر بتحرجكم من دخول الباب، لكن البر من اتقى ما حرم الله، وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلة... [٢].

والثالث: أنه من قبيل التمثيل لماهم عليه، من تعكيسهم السؤال أو في سؤالهم، وأن مثلهم كمثل من يترك بابًا ويدخل من ظهر البيت، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكن البر من اتقى ذلك، ثم قال سبحانه: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ أي باشروا الأمور من جوها التي يجب أن تباشر عليها، ولا تعكسوا[٣].

القسم الثاني: ألا تكون الآية معطوفة «فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط.. تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثاني، وله أسباب[٤]، وهي كماذكرها الزركشي.

أ - **التنظير**، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]، عقب قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٤.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤٤.
(٣) انظرالزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١/ ٤١.
(٤) المصدر السابق ١/ ٤٦.

كَرِيمٌ﴾ [الانفال: ٤]، يعلق الزركشي على هذا قائلاً: «فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره من خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون..»[١]، فالتنظير – في رأي الزركش - هو علاقة المناسبة التي جمعت بين هاتين الآيتين، وذلك تناظر الحدثين وتماثل رد فعل المسلمين، وهو كراهتهم لما فعله الرسول ﷺ بشأن الغنائم كما كرهوا الخروج معه من بيته لطلب العير.

ب - **المضادة:** ومن أمثلته قوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ**﴾ [البقرة: ٦]، قال الزركشي معلقًا على ذلك: «فإن أول السورة كان حديثًا عن القرآن الكريم، وأن من شأنه كيت وكيت، فرجع الحديث عن المؤمنين، فلما أكمله عقَّب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه»[٢].

جـ - **الاستطراد:** كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، يسترشد الزركشي بتفسير الزمخشري لهذه الآية، وأنها «واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بدوّ السوءات وخصيف الورق عليها، إظهارًا للمنة فيما خلق الله من الناس، ولما في العُري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى»[٣].

د - **الانتقال:** وذلك من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٩]، يقول الزركشي: «لما انتهى من ذكر الأنبياء..أراد أن يذكر نوعًا آخر، وهو ذكر الجنة وأهلها، فقال: (هذا ذكر): فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة... وقال: «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ...»[٤]، وكما هو واضح تم الربط باسم الإشارة وهي علاقة المرجعية بين المعنى السابق واللاحق، وأعطى دلالة على أنه سوف يتم الانتقال من هذا الحديث إلى حديث آخر.

---

(١)المصدر السابق ١/ ٤٧.

(٢)المصدر السابق ١/ ٤٩.

(٣) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٩ ، وانظر: الزمخشري، الكشاف ٢/ ٧٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ٥٠.

٢ - (المناسبة على مستوى السور). يتحدث الإمام الزركشي عن المناسبة بين السور، وحاول إيجاد علاقات أو روابط عامة بين السور من حيث المضمون أولاً. وقد وجه اهتمامه أولاً إلى سورة الفاتحة باعتبارها مقدمة القرآن أو المدخل إليه وأنها (أم الكتاب)؛ ولذا فمن الضروري أن تحتوي على أقسام القرآن ولو على سبيل الإشارة. وأقسام القرآن ثلاثة تشير سورة الفاتحة إليها.

وفي هذا يقول الزركشي: «أم علوم القرآن ثلاثة اقسام: توحيد وتذكير، وأحكام. فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار - والأحكام ومنها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار، والأمر والنهي والندب.. ولهذا المعنى صارت الفاتحة (فاتحة الكتاب أم الكتاب)؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة: فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وأما الأحكام فـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وأما التذكير فمن قوله ﴿اهْدِنَا﴾ [الفاتحة: ٦]، إلى آخرها، فصارت بهذا أمًا؛ لأنه يتفرع عنها كل نبت»[(١)].

وقد فسر «قول الرسول ﷺ: «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن. يعني في الأجر.. وقيل ثلثه في المعنى؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام.. وهذه السورة اشتملت على التوحيد»[(٢)].

هذا عن العلاقة العامة التي بين فاتحة الكتاب والكتاب كله، وثمة علاقة خاصة بين ختام كل سورة ومقدمة السورة التي تليها في ترتيب المصحف، على اعتبار أن ترتيب السور توقيفي[(٣)].

وقد تحدث الإمام السيوطي في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) عن علاقات التناسب أو عن العلاقات النصية التي يُبنى على أساسها القول بالترابط بين سورة وأخرى.

وباستقراء(تناسق الدرر) بغية التوقف على هذه العلاقات، وجد أن هذه العلاقات

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٧.

(٢) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧.

(٣) ذكر السيوطي في الإتقان أن هناك رأيين في ترتيب سور المصحف، الأول: أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة، والثاني:أن الترتيب تم بتوقيف من الرسول ﷺ. انظر: الإتقان في علوم القرآن ١/ ٦٢.

قد استقرت لدى السيوطي في عشر، أي أن الترابط الدلالي والمضموني بين سورة وأخرى يرجع إلى إحدى العلاقات العشرة التالية:

علاقة تفصيل المجمل، وعلاقة التلازم والاتحاد، وعلاقة تشابه الأطراف، وعلاقة المقابلة، وعلاقة المقارنة، وعلاقة الملابسة، وعلاقة التحقيق، وعلاقة بيان العلة، وعلاقة الإتمام أو العطف، وعلاقة الإطار الزمني[١].

هذا، وسيلقي البحث الضوء على أولى هذه العلاقات « علاقة تفصيل المجمل» باعتبارها القاعدة التي استقر بها القرآن الكريم ،فمن وجهة نظر السيوطي: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجاز[٢]. بناء على هذا، تصبح هذه العلاقة النصية أهم العلاقات التي وفرت للنص القرآني في لغته المحكمة خاصية التماسك والترابط.

- فسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة.
- وسورة (آل عمران) شرح لإجمال ما في البقرة قبلها.

ومثاله أن أول البقرة (افتتح بوصف الكتاب بأنه: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، وقال في آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [آل عمران: ٣][٣]، وذلك بسط وإطناب ؛ لنفي الريب عنه[٤]. وهكذا تطرد للسيوطي قاعدته التي استقرت لديه.

ومن العلاقات التي تحدث عنها العلماء في المناسبة:مناسبة اسم السورة لمضمونها: كأن يكون اسم السورة مرتبط بحدث مذكور فيها، أو قصة مذكورة فيها، أوأن تكون المناسبة بين اسم اسورة والسورة كلها ، أوتكون المناسبة بين أول السورة وآخرها.

---

(١) راجع السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور: صـ١٧٠ - ١٤٢، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط: ١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦).

(٢) المصدر السابق صـ٦٥.

(٣) راجع : السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور صـ٦٥ – ٧٠.

(٤) المصدر السابق صـ٧٠ – ٧٣.

ب- العلاقات النصية من منظور التفسير والمفسرين

رأينا فيما سبق كيف أن علماء القرآن وخاصة الزركشي والسيوطي، قد اهتموا بعلم المناسبة، وكيفية ترابط الآيات والسور، وأنهم قدموا إشارات أثناء حديثهم عن علاقات المناسبة يمكن أن تسهم في تماسك النص القرآني.

أما علماء التفسير فنجد لديهم من المصطلحات ما يؤكد الوعي التام بمعنى ترابط النص القرآني، وسوف يحاول البحث – هنا – الوقوف على آليات الترابط وعلاقاتها التي أشار إليها بعض المفسرين عمومًا من خلال تعليقاتهم على الآيات في كيفية الوصل والاتصال.

١ - (**علاقة العطف**)، ومنه علاقة العطف بين جملتين تفصلهما عدة جمل من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {٤٨} وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ.....﴾ [المائدة: ٤٨ - ٤٩].

يشير الزمخشري – هنا – إلى كيفية عطف الجمل غير المتجاورة، ففي الآيات السابقة «إذا قلت: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ﴾ معطوف على ماذا؟ قلت: على (الكتاب) في قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ.. ﴾ ويجوز أن يكون معطوفًا على (بالحق) أي أنزلناه بالحق وبأن احكم»[(١)].

فالعطف السابق وقع بين جملتين غير متجاورتين، وهذا يجعلنا نقول:

أولاً: إن العطف لدى الزمخشري ظاهرة تتجاوز الربط بين الجمل المتجاورة إلى تفاعل دلالات الجمل داخل السياق.

ثانيًا: أن ثمة علاقة دلالية بين قوله: ﴿أَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وهذا نوع من التكرار الذي يؤتى به على سبيل التأكيد، وقد أحدث نوعًا من الربط على المستوى الدلالي بالإضافة إلى هذا العطف.

---

(١) الزمخشري، الكشاف ١/ ٦١٨.

ومن العطف – أيضًا – عطف مجموع على مجموع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ الله وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً {١٥٥} وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا {١٥٦} وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {١٥٧} بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا{١٥٨}﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٨].

هذا نوع آخر من أنواع العطف ، وهو أن يتم عطف جزئي بين مجموعة من الجمل، ثم تعطف هذه على مجموعة جمل أخرى قد وقع العطف بينها على المستوى الجزئي.

وفي هذا يقول الزمخشري: «... عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه، كأنه قيل: فجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف، وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى، عاقبناهم»[(١)].

ومن العطف – أيضًا – عطف التناسب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {٢} خَلَقَ الإِنْسَانَ {٣} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ {٤} الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ {٥} وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ{٦}**﴾[الرحمن: ١ ٦].

يعلق الزمخشري على العطف بين هذه الآيات: «فإن قلت: كيف أخل بالعطف في الجمل الأول، ثم جيء به بعد؟ قلت: بكت بتلك الجمل الأول فهي واردة على سنن التهديد، ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه.. ثم رد الكلام إلى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف»[(٢)].

وفي وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف بين الزمخشري:«فإذا تساءلت أي تناسب بين هاتين الجملتين ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** {٥} **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**{٦}﴾ حتى وسط بينهما العاطف؟ قلت: إن الشمس والقمر سماويان

(١) المصدر السابق ١/ ٥٧٩.

(٢) الزمخشري ، الكشاف : ٤/ ٤٤.

والنجم والشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل...»[١].

٢ - (**علاقة الإحالة**) إن الإحالة سواء أكانت بالضمير أو بالإشارة – إلى شيء سابق أو شيء لاحق – تسهم بدور فاعل في تماسك النص أو الخطاب. ولقد اهتم المفسرون بذلك عند تعليقهم على الآيات التي ربطت عن طريق الإشارة أو الضمير.

ومن الإحالة بالضمير قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، يشير الزمخشري إلى أن «الضمير للصلاة أو للاستعانة، ويجوز أن تكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ إلى ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾»[٢].

فالإحالة بالضمير في الآية السابقة يتعدد مرجعها بأن يعود مرة إلى كلمة (الصلاة والاستعانة) أي: إلى خطاب سابق في الكلام، والذي يتمثل في الأوامر التي خوطب بها بنو إسرائيل، وقد استغرقت من الآية (٤٠ إلى الآية ٤٤ من سورة البقرة).

ومن الإحالة بالإشارة قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

أشار الزمخشري إلى أن (ذلكم فسق) إشارة إلى الاستقسام أو تناول ما حرم عليهم؛ لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا»[٣].

وقد يأتي اسم الإشارة في بنية الخطاب ليدل على الانتقال من معنى سابق ثم طرحه إلى معنى جديد، وتكون الإشارة وسيلة من وسائل الربط بين المعينين، على الرغم من اختلافهما، من ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾ [الحج: ٣٠].

ويعلق الزمخشري على ذلك بأن «ذلكَ.. أي الأمر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال: هذا وقد كان كذا»[٤].

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٤٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٧٨.

(٣) الزمخشري، الكشاف ١/ ٥٩٣.

(٤) المصدر السابق ٣/ ١١.

وقول الزمخشري السابق يفيد أن اسم الإشارة هنا – وهو العنصر الإحالي أحد شقي علاقة الإحالة – أتى به لربط الخطاب. ويدل على ذلك قوله: «إذا أراد الخوض في معنى آخر» أي أن المعنى الجديد الذي يلي اسم الإشارة يختلف عن المعنى الذي يسبقها.

وهكذا يسهم اسم الإشارة في صورته السابقة بدور فعال في ربط الخطاب وكذا شد أجزائه بعضها إلى بعض، على الرغم من اختلاف المعنيين.

٣ - **(علاقة الإجمال - التفصيل)** من بين العلاقات التي وجه المفسرون اهتمامهم إليها علاقة الإجمال والتفصيل، أو علاقة التفصيل بعد الإجمال وذلك كعلاقة أول سورة البقرة بآخر سورة الفاتحة حيث يقول البقاعي في تفسيره نظم الدرر: «وتصنيف الناس في آخر الفاتحة ثلاثة أصناف: مهتدين، ومعاندين، وضالين، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة: متقين، وكافرين مصارحين وهم المعاندون، وضالين وهم المنافقون، وإجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الأساليب، وهو دأب القرآن العظيم، الإجمال ثم التفصيل»[(١)].

ومن ذلك - أيضًا – قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٣٠} وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٣١} قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{٣٢}﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٢].

يقول الفخر الرازي معلقًا على هذه الآيات: «اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أراد تعالى أن يزيدهم بيانًا وأن يفصل لهم ذلك المجمل، فبين لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن من ذلك معلومًا لهم، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي»[(٢)].

ولكن العلاقة السابقة (الإجمال بعد التفصيل) قد تعكس فتصير (التفصيل) أولاً

---

(١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١/ ٤٠. قرأه وعلق عليه عبد الرازق المهدي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠٠٦.

(٢) الرازي، التفسير الكبير ١/ ٥٩٤.

ثم يأتي الإجمال (التفصيل بعده الإجمال)، ومن ذلك ما نقرأه في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور للآية ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، حيث قال معقبًا: «أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل....، وإتمامًا للبيان بجمع المتفرقات في السمع، المطالة في اللفظ في صورة واحدة، لأن الإجمال بعد التفصيل وقعًا من نفوس السامعين»[(١)].

٤ - (**علاقة المقابلة**) تعرض الزمخشري في تفسيره لهذا النوع من الترابط الدلالي القائم على المقابلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[البقرة: ٦].

ويعلق صاحب الكشاف على ذلك بأنك لو «قلت: لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** {١٣} **وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**{١٤}﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وغيره من الآي الكثيرة؟ قلت: ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت؛ لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه أهدى للمتقين، وسيقت الثانية؛ لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في العرض والأسلوب، وهما على حدٍ لا مجال للعطف فيه»[(٢)].

٥ - (**علاقة البيان بالاستدعاء**) أي استدعاء نص لنص آخر أو العلاقات بين النصوص، أو ما عرف عند علماء النص بـ(التناص) [(٣)]، ويمثل لذلك قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، فاختلف العلماء في الواو قبل قوله «على أبصارهم» هل هي عاطفة أم استئنافية؟ ومما رجحوا به

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٣٠٢، الدار التونسية للنشر. تونس ١٩٨٧.

(٢) الزمخشري ، الكشاف ١/ ١٥٠، وانظر: د.محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم صـ١٦١، دار القلم – الكويت ١٩٨٤.

(٣) عُرف (التناص) عند علمائنا السلف بمسميات مختلفة، منها (الاقتصاص) فتحت باب من النظم الذي جاء في القرآن يقول ابن فارس: «من نظم كتاب الله جل ثناؤه الاقتصاص، وهو أن يكون كلام في سورة مقتصًا من كلام في سورة أخرى...» ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة صـ٣٩٨ تحقيق السيد أحمد صقر. الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة – يوليو ٢٠٠٣م.

كونها استئنافية قوله تعلى من سورة أخرى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣] (١)، حيث فصل هنا بين السمع والقلب من جهة، والبصر من جهة أخرى وفي هذا ترجيح يدل على مراعاة المفسرين للعلاقات بين آيات القرآن في التوجيه النحوي.

ومن ذلك – أيضًا – بيان الحذف بالاستدعاء، فثمة محذوفات في آيات وجمل القرآن الكريم يقدرها المفسرون، ومعربو القرآن من جنس المذكور في نظائرها، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فقد أعرب المعربون كلمة (بلاغ) خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره (هذا)، وقد صرح به في آية من سورة [إبراهيم: ٥٢] ﴿هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ﴾ (٢).

ومنه – كذلك – حذف جواب الشرط، قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ [الزمر: ٤١]، فجواب الشرط هنا جملة غير تامة فتحتاج إلى تقدير محذوف، وقد قدروه من آية سورة [النمل: ٩٢]، قال الكرمائي: «﴿مَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ وفي آخر النمل ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ لأن هذه السورة –أي:الزمر– متأخرة عن تلك السورة – أي:النمل – فاكتفى بذكره فيها» (٣).

ومن الحذف – أيضًا – الحذف الاتساقي الذي يؤدي إلى تماسك النص في نفسه محلاً ليس استدعاء من نصوص أخرى، ويمثله قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا فحيي، فحذف ذلك لدلالة قوله: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى﴾ (٤).

وهكذا – كما هو واضح – يكون الحذف علاقة من العلاقات النصية التي من شأنها لِعبُ دور مهم في الاتساق النصي، وهي علاقة – كما هو بين – تعتمد في استنباطها على المتلقي، حيث الفطنة والانتباه من جهة وثقافة إخبارية مسبقة ترتكز على الخبرة والممارسة من جهة أخرى.

وبعد هذا العرض الموجز يقرر البحث أن الحديث عن العلاقات النصية في تراثنا العربي من خلال

---

(١) راجع الشنقيطي ، أضواء البيان ١/ ٥٧ - ٥٨، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة.

(٢) المصدر السابق ٧/ ٤٣٦.

(٣) انظر: الكرماني ، أسرار التكرار في القرآن صـ١٨٦ تحقيق عبد القادر أحمد عطا - دار الفضيلة، القاهرة.

(٤) راجع: الزمخشري، الكشاف ١/ ٢٨٩.

منظورات متعددة كمنظور البلاغة والنحو، والنقد الأدبي، وعلوم القرآن والتفسير كان من منطلق أن هذه العلوم – إلى حد ما – قد مارست التعامل مع النصوص كالنص القرآني، والنص الأدبي (**الشعري والنثري**)، ومن ثم جاءت مقترحاتهم مسهمة في تماسك النص وترابطه من واقع الممارسة النصية.

ويمكن أن نقول إن ما عناه علماؤنا في التراث العربي كان يمثل اتجاهًا مبكرًا نحو تأسيس علم بناء النص، بناء محكمًا بما يتوافق مع الدلالة المطلوب تحققها في النص. أما نظرية (**نحو النص**) في الدراسات اللغوية الحديثة فهي تعمل في الاتجاه المعاكس حيث تتجه نحو تحليل النصوص لمعرفة الكيفية التي تم بها تكوين النصوص وقوانين بنائها، وعناصر تميز بعضها من بعض.

هذا، ووصلاً لجهد أبتدأه تراثنا العربي القديم مبكرًا حول مفهوم العلاقات النصية واستخداماتها يبقى الحديث عن موقف الدارسين المحدثين حول مفهومهم لهذه العلاقات. وقد خصص المبحث التالي من هذا الفصل للحديث عن جهد بعض الدارسين المحدثين حول ظاهرة الترابط، وذلك من خلال منظومة العلاقات النصية . فلينتقل بنا البحث إلى المبحث الثاني.كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، فالمعنى: فضربوه .

المبحث الثاني

العلاقات النصية من منظور بعض الدارسين المحدثين

كان الاهتمام بالعلاقات النصية محل عناية في عدد من المناهج اللغوية الحديثة، فالمنهج الوصفي يعتبر دراسته للغة «هي النظر في علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى»[(١)]. ويرى أنه «لا يكفي أن نقول إن الوحدة اللغوية لا تُعرف إلا بغيرها من الوحدات بل يجب أن نقول إنها مكونة من مجموعة علاقاتها بباقي الوحدات»[(٢)].

وقد جعلها المنهج البنيوي هدفًا بين وحدات أو بنى العمل الفردي من ناحية وعلاقاتها مع النظام أو النسق اللغوي العام من ناحية أخرى[(٣)]. والنسق «قانون يحكم العلاقات بين الوحدات في النص تمامًا مثل قوانين الحركة»[(٤)].

والنظرية التحويلية التوليدية تعدُّ إدراك العلاقات بين وحدات النص عملية فطرية يولد بها الإنسان، بصرف النظر عن جنسه أو وطنه[(٥)].

بل إن منهجًا كاملاً سمي بـ(النحو العلائقي) [(٦)] جعل الاهتمام بالعلاقات شعارًا

---

(١) د. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البينيوي، دراسة في الفكر اللغوي الحديث صـ١٠٠، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥.

(٢) د. سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص صـ٢٧.

(٣) راجع: د. عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك صـ٢٠٢ عالم المعرفة، العدد (٢٣٢) سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٤) د. عبد العزيز حمودة ، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية صـ٢٠٨ عالم المعرفة، العدد (٢٧٢)، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٥) انظر: المرجع السابق صـ٢٠٨.

(٦) أشهر أعلام هذا الاتجاه: هيلمسلف، ولامب، وبيترزايخ. ومن حديث بيتر يتضح أهمية العلاقات النصية، حيث قال: «تعتبر تلك العناصر مرتبطة كل منها بالآخر بطبيعتها المحضة؛ لكي تكون أنساقًا متشابكة، لامجرد مجموعة من الوحدات المنعزلة» جيفري سامبسون المدارس اللغوية: التطور والصراع=

له. وتوضيح هذا المنهج أن «اللغة تتكون بشكل خاص من علاقات: علاقات خارجية بين عناصر في أطوار مختلفة، وعناصر داخلية بين العناصر في طور واحد»[١].

وفي عام ١٩٥٢ قدم هاريس منهجًا لتحليل الخطاب المترابط، وقد أسس هذا المنهج على تجاوز مشكلتين وقعت فيهما الدراسات اللغوية، وما يخص هذه الدراسة من هاتين المشكلتين[٢] هو: أن الدارسات اللغوية قد قصرت الدراسة على الجمل. ومن ثم اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على حل هذه المشكلة، وقد تبلور الحل في الاهتمام بالعلاقات التوزيعية بين ا الجمل The Distributional Relations Among sentences[٣].

وبعد ذلك أخذ كثير من اللسانيين ينتبهون إلى ما نوّه إليه هاريس، حيث الاهتمام بالعلاقات التوزيعية بين الجمل في النص ومن هؤلاء اللسانيين الذين تنبهوا مهتمين بالعلاقات النصيَّة هاليداي وزميلته رقية حسن، وفان دايك، واينزبرج، وأوجين نايدا. وسوف يعرض البحث في الصفحات التالية وجهات نظرهم المتباينة حول هذه الظاهرة.

****

=صـ١٧١، ترجمة د. أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، القاهرة ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

(١) جيفري سامبسون، المدارس اللغوية صـ١٧٢.

(٢) ثاني هاتين المشكلتين هو(الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي) . راجع: د. جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية صـ٦٥.

(٣) المرجع السابق: صـ٦٥- ٦٦.

أولاً: العلاقات النصية من منظور هاليداي ورقية حسن

ذهب هاليداي وزميلته – بداية – إلى أن كل متتالية من الجمل لا تكون نصًا إلا إذا كان بين هذه الجمل علاقات، وتتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة، أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة كانت أو لاحقة، ويسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قبلية، وتعلقه بما يلحقه علاقة بعدية[١].

فالنص – كما هو واضح عند هاليداي وزميلته – لا تكون له نصية إلا إذا توفرت على نصيته مجموعة من الوسائل أو العلاقات التي تُعد مسئولة عن خلق أو إيجاد هذه النصية.

وهذا «ما جعل مفهوم كلامهما أن الربط بالأدوات أو الوسائل اللغوية أكثر أهمية من الربط المعنوي، مع أنهما اعترفا بأن التي تملك قوة الربط في الواقع هي العلاقة المعنوية الضمنية، وذلك قبل أن تكون الأداة النحوية هي الرابط»[٢].

- **علاقات السبك[٣] Cohesion relations**

أولاً: (علاقة الإحالة) Reference relation

«تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ التي لا تمتلك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب. فشرط وجودها هو النص»[٤]، أو أن هذه العناصر كيفما كان نوعها لا تكتفي – كما يستعملها هاليداي وزميلته – بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من

---

(١) Halliday & Roqaiya Hassan, cohesion in English,p.1.2. Longman Gruop, London (1976)

(٢) د. أحمد عفيفي ، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي صـ٩٩. مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ط: ١ صـ٢٠٠١.

(٣) ترجمه إلى مصطلح (السبك) د. تمام حسان في «النص والخطاب والإجراء» صـ٢٩٩ وترجمه كذلك إلى (السبك) ، د. سعد مصلوح في دراسته «نحو أجرومية للنص الشعري صـ١٥٤، وترجمه إلى (الاتساق) د. محمد خطابي في كتابه لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب صـ١١، وترجمه الدكتور سعيد بحيري إلى (الربط) في كتابه (علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات صـ١٢٣، وترجمه إلى (التماسك) الأزهر الزناد في كتابه «نسيج النص: صـ١١٥، وترجمه إلى (التنضيد) د. محمد مفتاح في دنيامية النص صـ٤٤.

(٤) الأزهر الزناد ، نسيج النص صـ١١٨.

أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة»[١].

وتنقسم الإحالة عند الباحثين إلى نوعين رئيسين[٢]:

- إحالة داخل النص (Endo phora) وتسمى النصية (Textual)
- إحالة خارج النص (Exo phora) وتسمى مقامية (Situational)

وتنقسم الإحالة داخل النص إلى إحالة (إلى سابق) وتسمى قبلية (Ana phora)، وإلى إحالة (إلى لاحق) وتسمى بعدية (Cata phora) ويمكن التخطيط لتقسيمات الإحالة كالآتي:

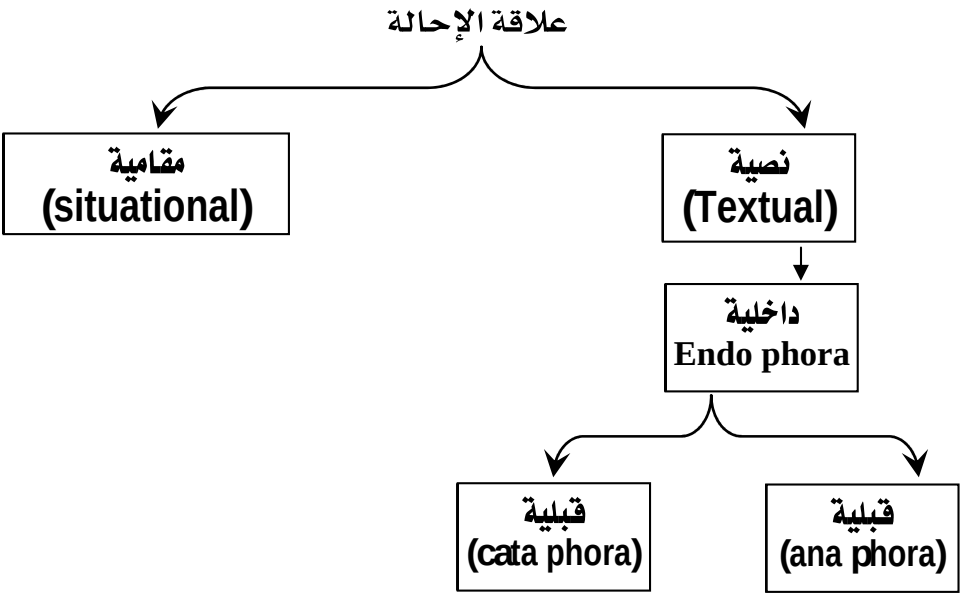

١- الإحالة داخل النص: Textual

وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة، فهي إحالة نصية. وإلى ذلك يشير هاليداي وزميلته: «وإذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى السابق أو إلى اللاحق»[٣]

---

(١) د. محمد خطابي، لسانيات النص صـ١٦ - ١٧.

(٢) Halliday and Roqaiya Hassan, Cohesion in English, p.33

(٣) Ibid,p.33

*** وسائل علاقة الإحالة**

تتمثل وسائل علاقة الإحالة في النص عند هاليداي وزميلته في ثلاث: الضمير، والإشارة وأدوات المقارنة[١].

وإذا كانت الضمائر تنقسم إلى ثلاثة أنواع: الضمائر الدالة على المتكلم (أنا وفروعها)، والضمائر الدالة على المخاطب (أنت وفروعها) والضمائر الدالة على (الغيبة) (هو وفروعها). فإن النوعين الأولين (المتكلم والمخاطب) يستخدمان – كما أقر الباحثان – للإحالة خارج النص، ولا تصبح إحالة داخل النص إلا بالضمائر الدالة على (الغيبة).

فحين نتحدث عن الوظيفة التماسكية لضمير الإحالة فإن ضمير الغائب هو المقصود على وجه الخصوص[٢].

هذا عن الوسيلة الأولى وهي (الضمائر)، أما الوسيلة الثانية وهي (أسماء الإشارة) «وهي عادة تحيل إلى ما هو داخل النص مثل: ضمائر الغيبة»[٣].

ويذهب الباحثان إلى أن هناك عدة إمكانات لتصنيفها[٤]:

أ) تقسم حسب الظرفية إلى: ظرفية زمانية مثل: الآن، غدًا، أمس.

ظرفية مكانية مثل: هنا، هناك، هنالك.

ب) تقسيم حسب المسافة إلى: بعيد مثل: ذلك، تلك . قريب مثل: هذا، هذه.

جـ) تقسيم حسب العدد إلى: مفرد مثل: هذا، ومثنى مثل: هذان، وجمع مثل: هؤلاء.

وأدوات الإحالة الإشارية تقوم بالربط النصي عندما تستخدم في الحالات القبلية والبعدية[٥]، ومن هنا فإنها تساعد على إيجاد ترابط نصي.

ويلاحظ أن اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه هاليداي ورقية حسن «الإحالة

---

(١) Ibid,p.50.51

(٢) راجع: د. محمد خطابي ، لسانيات النص صـ١٨.

(٣) المرجع السابق صـ١٩.

(٤) انظر: المرجع السابق صـ١٩

(٥) انظر: المرجع السابق صـ١٩.

الموسعة» وهي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[١].

تبقى وسيلة ثالثة من وسائل علاقة الإحالة ألا وهي المقارنة (Comparison)[٢] وتنقسم إلى: عامة (General) يتفرع منها: التطابق (Identity)، ويتم باستعمال عناصر مثل: (Same) نفس، والتشابه (Similarity)، وفيه تستعمل عناصر مثل: (Similar) (مشابه). الاختلاف (Diffrrence)، باستعمال عناصر مثل: (_Other wise other) (الآخر من ناحية أخرى).وإلى خاصة (Particular)، تتفرع إلى كمية (Quantity) وهذه تتم بعناصر مثل: (Less,more) أكثر، وأقل. وكيفية (Quality) تتم بعناصر مثل beeter: (أحسن، أجمل..).

هذا والنظرة الحديثة توظف أدوات المقارنة السابقة ؛ لتكون وسيلة من الوسائل التي يسبك بها النص ويتماسك.

٢ - **الإحالة المقامية** (Situational) (**إحالة خارج النص**)

«وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحب المتكلم حيث يربط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم، ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم. ومهما تعددت أنواع الإحالة فإنها على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع»[٣].

ويذهب هاليداي ورقية حسن إلى أن الإحالة المقامية «تسهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تسهم في اتساقه بشكل مباشر»[٤] هذا بخلاف الإحالة النصية.

ثانيًا: علاقة الاستبدال Substituation

عرف هاليداي وزميلته الاستبدال بأنه: «عملية تتم داخل النص، و إنه تعويض

---

(١) Halliday and Roqaiya Hassan, cohesion in English, p.51

(٢) Ibid,p.39.

(٣) الأزهر الزناد ، نسيج النص صـ١١٩.

(٤) د. محمد الخطابي ، لسانيات النص صـ١٧.

عنصر بعنصر آخر»[١].

وتُعد علاقة الاستبدال صورة من صور التماسك النصي التي تتم في (**المستوى النحوي – المعجمي**) بين كلمات أو عبارات، على أن معظم حالات علاقة الاستبدال النصي (**قبلية**) أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، ومن ثم تعد هذه العلاقة مصدرًا من مصادر سبك النص وتماسكه[٢].

وينقسم الاستبدال لدى الباحثين إلى ثلاثة أنواع:

١ - استبدال اسمي: **Nominal substituation**[٣].

ويتم باستعمال العناصر اللغوية:آخر (One) وآخرين (Ones) ونفس (Same)... إلخ. ومثال ذلك[*]: (فأس جد مثلومة يجب أن أقتنى أخرى حادة) فقد عوضت كلمة (أخرى) مكان كلمة (فأس)، واستدل على ذلك من خلال السياق الذي وردت فيه كلمة (فأس) قبل ذلك.

٢ - استبدال فعلى **Verbal substituation**[٤].

ويمثله استعمال العنصر: (Do) يفعل، ومثال ذلك[*] : (هل تعتقد أن جون يعرف مسبقًا؟ أعتقد أن كل شخص يعرف) فقد عوض الفعل يعرف في الجملة الثانية مكان يعرف في الجملة الأولى.

- استبدال قولي **Clasal Substituation**[٥]

وتستخدم فيه أداة مثل (So) لذلك و(Not) لا.. إلخ.

ومثال ذلك[*]: لا شك أنك توافق على وقوع معركة؟ قال تويدلوم بصوت هادئ

---

(١) Halliday..., Cohesion in Englsh,p.88

(٢) د. محمد الخطابي، لسانيات النص صـ١٩.

(٣) Halliday…, cohesion in English, p.88

(*) -My axe is too blunt. I must get a shurper one

-You think Joan al ready knows? I think every bady does.

-Of cours you agree to have a battle, Tweedledum said a calmer tone«I suppose so»

(٤) Ibid, p .89

(٥) Ibid, p.130

:أفترض ذلك.. ففي المثال عوض القول: (توافق على وقوع معركة) برمته بـ(العنصر)(So).

إن التماسك الذي حققه الاستبدال على مستوى النص يرجع إلى العلاقة بين العنصرين اللغويين اللذين تم الاستبدال بينهما (المستبدل والمستبدل به)، وهي علاقة – كما هو واضح – قبلية بين عنصر سابق في النص وعنصر لاحق فيه.

ثالثًا: علاقة الحذف Ellipsis

تعتبر علاقة الحذف من علاقات السبك التي يتماسك بها النص ويترابط نحويًا. ويحدد – هاليداي وزميلته – الحذف بأنه: «علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية»[١].

والحذف والاستبدال كعلاقتين متشابهان جدًا. فالحذف ببساطة هو الاستبدال، ولكن من (الصفر) [٢]، فعلاقة الاستبدال تترك أثرًا، أثرها هو وجود العناصر، أي عناصر (الاستبدال)، في حين أن علاقة الحذف لا تخلف أثرًا، ولهذا فإن الاستبدال يبقى مؤشرًا يسترشد به القارئ عن العنصر المفترض، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي يخلفه الاستبدال، على حين أن الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء. ومن ثم نجد في الجملة الثانية فراغًا بنيويًا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادًا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق.

والحذف في ذلك شأنه شأن الإحالة، صورة من صور السبك الذي يتم في المستوى النحوي - المعجمي. وينبغي البحث عن أهمية دور الحذف في التماسك حيث البحث عنه في العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة؛ لأن العلاقة داخل الجملة الواحدة علاقة جملية لا

---

(١) Halliday…, cohesion in English,p.142

(٢) راجع : د. محمد خطابي، لسانيات النص صـ٢١.

يؤدي فيها الحذف صورة من صور السبك النصي.

وللتدليل على هذه الفكرة يمثل (هاليداي وزميلته) بالمثال التالي:

Joan brought some carnations and Catherine some sweet pieces

أحضر جون بعض القرنفل وكاترين بعض قطع الحلوى[١].

*** أنواع الحذف:**

قسم الباحثان الحذف إلى أنواع ثلاثة[٢]:

١- الحذف الاسمي **Nominal Ellipsis**

ويعني حذفه اسم داخل المركب الاسمي (Nominal group)

مثال ذلك: أي قبعة ستلبس؟ هذه هي ا لأحسن.

إذ التقدير: هذه القبعة هي الأحسن، بحذف كلمة «القبعة».

٢- الحذف الفعلي **Verbal Ellipsis**

مثال ذلك: ماذا كنت تفعل؟ الاستحمام، والتقدير: أستحم.

٣- الحذف داخل ما يشبه الجملة **Clausal Ellipsis**[٣]

مثال ذلك: كم ثمنه؟ خمسة جنيهات. والتقدير: ثمنه خمسة جنيهات.

يتضح من خلال ما سبق أن علاقة الحذف تسهم في سبك النص وتماسكه، وإن كان هذا الدور يختلف عن الإحالة والاستبدال[٤].

---

(١) Halliday…, cohesion in English, p.142.

(٢) Halliday…, cohesion in English,p.147

(٣) العبارة (Clause): مجموعة من الكلمات التي تشتمل على فعل غير مصدري (uninfinitive verb) يبد أنها لا يمكن أن تذكر بمفردها، أي إن العبارة لا تشكل سوى جزء من الجملة، وفي كل جملة معقدة (مركبة) يكون لدينا على الأقل عبارتان: العبارة الرئيسة التي تكون شبهًا بجملة بسيطة، وعبارة واحدة على الأقل تابعة (جملة غير مستقلة). راجع: لوريتوتود: مدخل إلى علم اللغة، صـ٧١، ترجمة د. مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤.

(٤) إن الجديد في النظرة إلى الحذف هو اعتباره علاقة من العلاقات التي يتماسك بها النص، كما مر عند الباحثين ومن المعلوم أن موضوع الحذف عرفه نحاتنا وبلاغيو العرب؛ فعندما تحدث ابن هشام عنه ذكر له شروطا،ومن هذه الشروط «وجود دليل على المحذوف» وهذا الدليل إما (حالي) مثل (قالوا سلامًا) أي سلمنا سلامًا، أو (مقالي)مثل:=

رابعًا: علاقة الوصل Conjunction

علاقة (الوصل) هو أحد الأنواع التي يسبك بها النص ويتماسك، ولكن طبيعته تختلف عن علاقات السبك الأخرى «الإحالة والاستبدال والحذف».

من هذا المنطلق يمكن تعريف الوصل – كما جاء عند هاليداي وزميلته – بأنه: «تعيين للطريقة التي يتصل فيها اللاحق بالسابق اتصالاً منتظمًا»[(١)].

وهذا يعني: «أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيًا، ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النص»[(٢)].

وقد صنف الباحثان علاقة (الوصل) إلى[(٣)]:

إضافي additive، وعكسي adversative، وسببي causal، وزمني Temporal

ويتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين (الواو) و(أو) وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل بواسطة تعبير من نوع: بالمثل...، وعلاقة الشرح وتتم بتقدير مثل: أعني، بتعبير آخر...، وعلاقة التمثيل المتجسدة في تعابير مثل: مثلاً، نحو...

أما الوصل العكسي الذي يعني «على عكس ما هو متوقع» فإنه يتم بواسطة أدوات مثل: (but, yet) (لكن - بل) وغيرها، وبتعابير مثل: (How ever) (مع ذلك، مهما، على الرغم من....).

أما الوصل السببي فيمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويعبر عنه بعناصر مثل: (Hence, There fore , thus, so) ... (من ثم، بناء على ذلك، هكذا، لذلك).

ويجسد الوصل الزمني – بوصفه آخر نوع من أنواع علاقة الوصل – علاقة بين

=﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل: ٣٠]، راجع: المغني ٢/ ٦٩٢.

وإذا كان نوع الحذف الذي نهتم به في موضوع العلاقات النصية هو الذي يقع بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة، فإن ابن هشام تحدث عنه عندما ذكره من بين الأنواع. راجع: مغني اللبيب ٢/ ٧٤٦.

(١) Halliday…, cohesion in English, p.227.

(٢) د. محمد خطابي، لسانيات النص، صـ٢٣.

(٣) Ibid,p.228

أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيًا، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو (Then) (حينئذٍ – عند ذلك - آنئذٍ)[١].

وعلى الرغم من اختلاف معاني الوصل بحسب نوع الأداة المستخدمة، فإن وظيفة الوصل هي تقوية العلاقة بين الجمل، وجعل المتواليات مترابطة ولهذا فعلاقة الوصل تعد وسيلة من وسائل السبك النصي وكذا تماسكه.

خامسًا: علاقة السبك المعجمي:

وهو السبك أو التماسك الذي تحدثه العناصر اللغوية (كلمة – عبارة – جملة) في النص بوصفها عناصر معجمية. ويتم ذلك عن طريق علاقتين نصيتين هما: التكرير: Reiteration، والتضام Collocation[٢].

أولاً: علاقة التكرير

شكل من أشكال السبك العجمي التي تتطلب إعادة عنصر معجمي (Lexicalitem) ويكون ذلك باستخدام كلمة عامة (general word) أو ترادف (Synonymy) أو شبه ترادف (near – Synonymy) أو عنصر مطلق (Superordinate)[٣].

ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالي:

شرعت في صعود القمة ← الصعود، التسلق، العمل، الشيء، (هو) ← سهل للغاية

فالتكرار عند الباحثين «هاليداي وزميلته» يمكن أن يكون بأشكال مختلفة.

---

(١) Ibid,p.239

(٢) Halliday…, cohesion in English,P.27

(٣) Ibid,p.278

ففي المثال السابق تم ذلك عن طريق[١]:

(١) إعادة نفس الكلمة في الجملة السابقة (الصعود).

(٢) إعادة مرادف للكلمة في الجملة السابقة (التسلق).

(٣) إعادة اسم مطلق للكلمة في الجملة السابقة (العمل).

(٤) إعادة اسم عام للكلمة في الجملة السابقة (الشيء).

(٥) إعادة الكلمة في الجملة السابقة باستخدام الضمير (هو).

والكلمات العامة كما ذكرها الباحثان[٢]: (الناس – الشخص – المرأة – الطفل – الولد – البنت – الإنسان – شيء – العمل).

وبالنظر إلى الأشكال المختلفة التي تشمل علاقة التكرير أو التكرار كما جاء عند هاليداي وزميلته، نجد أن هذه الصور يمكن حصرها في ثلاث علاقات:

- تكرير يتم عن طريق إعادة نفس الكلمة.
- تكرير يتم عن طريق مرادف للكلمة أو شبه المرادف.
- تكرير يتم عن طريق علاقة الاشتمال (الأسماء المطلقة – الأسماء العامة).

ثانيًا: علاقة التضام

التضام شكل من أشكال السبك المعجمي في النص، ويعرف عند هاليداي وزميلته بأنه: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، ذلك لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»[٣].

فالعلاقة بين هذه الألفاظ – إذن – علاقة مقيدة، فلو ذكر أحدهما، استدعى – على الفور – صاحبه الذي يرتبط به في الكلام[*].

---

(١) Ibid,p.279

(٢) Halliday…, cohesion in English,p.274

(٣) Ibid,p.285

[*] يقول الدكتور تمام حسان – رحمه الله تعالى - : «لا يكاد باب من أبواب النحو العربي يخلو من ظاهرة التضام إما في صورتها الإيجابية كالافتقار والاختصاص والتوارد، وإما في صورتها السلبية، كالتنافي أو التنافر. والمعروف أن الافتقار والاختصاص والتنافي من ظواهر استعمال العناصر التركيبية وأن التوارد من

ويمثل هاليداي وزميلته لهذا النوع من العلاقات بالمثال التالي[١]:

Why does this Little boy wriggle all the time?

Girls don't wriggle.

ما لهذا الولد يتلوى في كل وقت وحين؟

البنات لا تتلوى .

أما علاقات التضام التي تضبط توارد أزواج الكلمات، والتي تفسر هذه الكلمات في ضوئها يمكن أن تكون كما ورد عند الباحثين.

١ - علاقة التضاء أو التعارض، مثل (جلس – وقف).

٢ - علاقة الجزء بالكل أو الجزء بالجزء، مثل (يد – جسم) (أظافر – أصابع).

هذا مجمل ما تناوله هاليداي وزميلته رقية حسن من العلاقات النصية، ولينتقل بنا البحث إلى رؤية جديدة متباينة، إلى (فان دايك)؛ لنرى كيف عالج الظاهرة، وما العلاقات النصية التي وقف عليها .

***

ظواهر استعمال الكلمات المعجمية» البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ١/ ٨٩ ، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب، ضمن مشروع مكتبة الأسرة. القاهرة.

(١) Halliday…, cohesion in English,P.285

ثانيًا : العلاقات النصية من منظور فان دايك

استقام لدى فان دايك مجموعة من المفاهيم كان من شأنها إبراز فهمه الدقيق لظاهرة العلاقات وأهميتها في ترابط النص وانسجامه، وذلك من خلال مؤلفاته التي أخص منها تحديدًا مؤلفين، الأول منهما: النص والسياق.. استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي[١]، والثاني علم النص.. مدخل متداخل الاختصاصات[٢].

وقد خص القسم الأول من مؤلفه «النص والسياق» تحت عنوان «الدلالة» بالحديث عن موضوعات ثلاثة، هي (الترابط، والاتساق، والبنيات الكيرى الشاملة)[٣]، وقد أبرز في ضوئها مفاهيم استنبط من خلالها علاقات تأسس عليها ترابط النص وانسجامه. ذلك فضلاً عما استكمله من علاقات في مؤلفه (علم النص) وسوف يعرض البحث هذه الموضوعات مستوضحًا من خلالها مفهوم العلاقات[٤] من منظوره.

أولاً : علاقة الترابط أو الحبك Coherence

يستخدم فان دايك مفهوم «الترابط» إشارة إلى علاقة مخصوصة بين الجمل، ولما كانت الجمل مركبة والترابط علاقة دلالية. فقد فضل فان دايك الحديث عن قضيتين أو قضايا جمل متسلسلة[٥].

وكي يوضح «فان دايك» معنى الترابط أعطى أربع مجموعات متباينة من الأمثلة، وهذه المجموعات على النحو التالي[٦]:

---

(١) ترجمه وعلق عليه الدكتور عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، سنة ٢٠٠٠م .

(٢) ترجمه وعلق عليه الدكتور سعيد حسن بحيري. دار القاهرة ، القاهرة ، بدون.

(٣) راجع:فان دايك ، النص والسياق من صـ٧١ إلى ٢٢١.

(٤) «يذهب (فان دايك) إلى حتمية دراسة العلاقات بين الجمل؛ إذ إن الدراسات النحوية السابقة قد عنيت – بما لا يدع مجالاً للشك – عناية كبيرة بالعلاقات بين وحدات الجملة.. ويرى أن إسهام (هاريس) في علم لغة النص محدود، على الرغم من ملاحظاته المهمة المنظمة حول ضرورة دراسة العلاقات بين الجمل» د. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات صـ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٥) انظر: السابق صـ٧٤.

(٦) المصدر السابق صـ٧٤ - ٧٥.

(١) أ - جون أعزب، إذن هو غير متزوج.

ب - جون أعزب، وعلى ذلك فهو يشتري أغاني كثيرة.

جـ - جون أعزب، إذن امستردام هي عاصمة نيثر لاند.

(٢) أ - ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل فقد رسب في الامتحان.

ب - ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل فقد قبلته ماري على خذه.

جـ - ولأن جون لم يكلف نفسه عناء العمل، فإن القمر يدور حول الأرض.

(٣) أ – إن أمستردام هي عاصمة فيثر لاند، عدد سكانها ٨٠٠٠٠٠٠ نسمة.

ب - أمستردام هي عاصمة نيثرلاند. هل تحب أمستردام؟

جـ - امستردام هي عاصمة نيثرلان، وبموجب ذلك أعلن افتتاح الجلسة.

(٤) أ - سؤال: أين تنوي أن تذهب في عطلتك هذا الصيف؟

جواب: من المحتمل أن أسافر إلى البرتغال.

ب - س: أين تنوي أن تذهب في عطلتك هذا الصيف؟

جـ: في هذا الصيف، سيسافر أخي إلى البرتغال.

جـ - س: أين تنوي أن تذهب في عطلتك هذا الصيف؟

جـ: هل يمكن أن تخبرني كم هي الساعة الآن.

ثم يعلق على هذه المجموعات الأربعة من حيث (المقبولية أو عدمها) موضحًا أن الجملة الأولى في كل مجموعة مقبولة، والثانية أقل مقبولية، والثالثة غير مقبولة. ثم يتساءل: «ما هي أنواع القيود التي تحدد أحكامنا البديهية إزاء صفة القبول الدلالي لهذه الجمل أو لضروب الخطاب هذه؟»[١].

ويوضح فان دايك أن الترابط «لا يتعلق بوجود الأدوات الرابطة ففي أمثلة (٣) و(٤) يجوز أن تكون الجمل مرتبطة أو مستغنية عن الربط.. وبالعكس فإن وجود الروابط لا يجعل الجمل مترابطة كما هو ملاحظ في مثال (١) ج، و(٢) ج»[٢].

ويتناول فان دايك بعض القيود التي تحكم العلاقات المفهومية بين معاني القضايا،

---

(١) فان دايك: النص والسياق: صـ٧٥.

(٢) فان دايك ، النص والسياق صـ٧٥.

ويذكر أن هذه القيود «متباينة، فهي تقوم أحيانًا على العلاقات بين معاني الجمل، وأحيانًا أخرى على العلاقات بين إحالة الجمل، وتتصل القيود اتصالاً تامًا بالعلاقات بين الجمل بوصفها كلاً والعلاقات بين مكونات الجمل»[١].

- القيد الأول: تطابق الإحالة

ويعني بذلك أن القضايا أو الجمل يرتبط بعضها ببعض عندما تكون الوقائع التي تحيل إليها القضايا مرتبطة بعضها ببعض، ويوضح الباحث بالأمثلة التالية:

- لأن الطقس كان جميلاً، يدور القمر حول الأرض.
- حين كنت غنيًا ولد هانز في كولونيا.
- نجح يان في امتحانه، قضت والدته إجازتها في السنة الماضية في إيطاليا[٢].

من خلال ما سبق من أمثلة يتضح لنا أنها جميعًا غير مقبولة؛ وذلك لأن المتحدث عنه في كل جملة مختلف عن المتحدَّث عنه في الجملة التي تليها أي أن المحال إليه مختلف؛ حيث إنه لا توجد علاقة – مثلاً – بين نجاح يان في الامتحان وقضاء والدته إجازتها في السنة الماضية. أو العلاقة بين كونه غنيًا ومولد هانز في كولونيا، وهكذا فإن الجامع بين هذه الأمثلة هو عدم التطابق الإحالي؛ ومن ثم صارت غير مقبولة.

- القيد الثاني: تعالق الوقائع

ويراد به أنه مع كون المحال إليه واحدًا لابد أن يكون الموقف – أيضًا – واحدًا؛ ومن ثم ترتبط المعاني أو القضايا، ويمثل فان دايك لهذا بالمثال التالي:

- اجتاز (يان) امتحانه. ولد في أمستردام.

فعلى الرغم من أن المتحدث عنه في الجملة الأولى هو (يان)، وهو نفسه المحال إليه في الجملة الثانية ومع ذلك فإن التطابق الإحالي لا يكفي وحده لجعل هذا التتابع من الجمل مقبولاً؛ وذلك لأن واقعة اجتياز (يان) لامتحانه غير مرتبطة بواقعة مولده في أمستردام[٣]؛ ومن ثم كان عدم تعالق الوقائع أدى إلى عدم مقبولية هذا التتابع.

---

(١) فان دايك ، علم النص: مدخل متدخل الاختصاصات صـ٤٨ – ٤٩.

(٢) المصدر السابق صـ٤٨.

(٣) فان دايك ، علم النص: مدخل متدخل الاختصاصات صـ٥٣.

- القيد الثالث: الخلفية المعرفية

فضلاً عن هذين القيدين فإن فان دايك يضيف قيدًا ثالثًا؛ كي تكون العلاقات بين معاني القضايا مقبولة؛ إذ لابد من وجود «الخلفية المعرفية» أي: أن المعاني التي يشتمل عليها النص قد تتوافر لها كل قيود الربط عدا «الخلفية المعرفية»؛ وعندئذ لا يكون النص مقبولاً، ومن الأمثلة الموضحة لهذا القيد:

اشترى بيتر بيانو، وقد اشترى جيرد في الأسبوع الماضي واحدًا. فرغم أن الحديث عن حدث واحد هو الشراء إلا أن العلاقة بين معنى الجملتين لا تعدُّ مقبولة إلا إذا كان (بيتر) و(جيرد) في دائرة المعروفين سلفًا لدى المتحدث[١].

*** (المعايير العامة أو العلاقات التي تحدد ترابط الوقائع)**

تحدث فان دايك عن قيود إحكام العلاقات، ومنها قيد تعالق الوقائع، وأهميته في جعل النص مقبولاً، بيد أن هذه العلائق المتعالقة لابد لها من معايير، هي في الحقيقة علاقات تحدد ربط وترابط الوقائع؛ ومن ثم تكون مقبولة.

١- علاقة السببية

وهي علاقة منطقية تعطي النص ترتيبًا وسهولة في الفهم؛ ومن ثم يكون النص مقبولاً. «وتشكل تلك العلاقة بين الوقائع الأساس لاستخدام أدوات ربط (سببية)، مثل الروابط: (لأن، وإذ، وهكذا،.. ومن ثم.. وعلى ذلك، وإذن..» [٢] ومن الأمثلة التي ساقها فان دايك في ذلك.

عذرًا لأني تأخرت هكذا، غير أني ذو شعر أحمر.

ويعلق الباحث قائلاً: «إن المستمع يمكن أن يرفض اعتذاره رفضًا تامًا ؛ لأنه هراء؛ لأن صاحب الشعر الأحمر لا يكون عادة علة اعتذار عن أوجه التأخير»[٣]، ومن ثم افتقد هذا النص أو هذا المثال علاقة السببية أو معيار السببية؛ ومن ثم افتقد القبول.

---

(١) راجع: السابق صـ٥٤.

(٢) فان دايك ، علم النص: مدخل متدخل الاختصاصات صـ٥٥.

(٣) المصدر السابق صـ٥٥.

٢- علاقة الترادف

ويبين فان دايك أن من العلاقات التي تحدد تعالق الوقائع علاقة «الترادف» وقد مثل لها بهذا المثال: (ليس لبيتر زوج؛ لأنه عزب) فالنص صادق في كل العوالم الممكنة؛ إذ إنه تحصيل حاصل، فمعنى أن (بيتر) ليس له زوج هو نفس معنى أنه عزب، فلم تضف الجملة الثانية جديدًا؛ إذ إنها مرادفة للأولى؛ ومن ثم فالنص مقبول[١].

٣- علاقة الاتحاد الزمني

ومن هذه العلاقات – كذلك – علاقة الاتحاد الزمني، أي أن الواقعتين تقعان في نفس الوقت، ويمثل فان دايك كذلك بـ: «لقد ذهبنا إلى الشاطئ ولعبنا الكرة». فكما هو واضح أن الرابط المعنى بين الجملتين هو أن (حدث اللعب) تزامن مع (حدث وجودهم على الشاطئ) ويعلق فان دايك قائلاً: «... إنهما متفقتان اتفاقًا مجردًا، إذ لم يمنع وقوع إحداهما وقوع الأخرى في مقام معين..» [٢]، ومن ذلك أيضًا هذا المثال: «اشتغلت ماريا بالإبرة – لعب جورج على البيانو»[٣].

٤- علاقة الإطار المعرفي

ويعني فان دايك بذلك أن المعرفة التصورية عن المواقف ومجريات الحدث ضرورية لترابط قضايا أو جمل النص، أي أنه يجب التعرف على الإطار المعرفي الذي يحيط بالقضايا؛ لأنه قد يكون هو الرابط الوحيد بين الجمل أو القضايا[٤].

ويمثل فان دايك لهذا بالمثال التالي: «لم يكن مع بيتر مال، بحيث لم يدخل الحانة» فالإطار المعرفي هنا بينٌ وواضح؛ لأن «المرء يجب أن يدفع عادة للأكل والشرب في الحانة»[٥] لذلك كان ذلك سببًا في عدم وجود (بيتر) في الحانة لأنه لا يمتلك مالًا.

---

(١) راجع السابق صـ٥٥ - ٥٦.

(٢) المصدر السابق صـ٥٦، وانظر: النص والسياق صـ٧٨.

(٣) المصدر السابق صـ ٥٦

(٤) فان دايك ، علم النص: مدخل متدخل الاختصاصات صـ٥٨.

(٥) المصدر السابق صـ٥٨.

٥- علاقة تعالق العوالم الممكنة

ويمثل له (فان دايك) بهذا المثال: «حلمت أن الطقس حار جدًا، فذهبت إلى الشاطئ»؛ لأن واقع كون الطقس حارًا في عالم الأحلام ليس سببًا عاديًا للذهاب إلى الشاطئ في عالم الواقع[١].

وكما هو واضح يقصد فان دايك أن القضايا أو الجمل المتجاورة يجب أن يربط بينها عالم واحد سواء كان عالم الخيال، أو عالم الواقع، أو عالم الأحلام، أما إذا اختلفت وتباينت العوالم في سياق واحد فقد يكون المعنى في النص غير مقبول.

٦- علاقة التطابق الإحالي

ويمثل له فان دايك بهذا النص المكون من جمل:

«... سافر بقطار المساء، كانت مريحة، في صباح اليوم التالي استحم (بيتر) في مكان إجازته، أمطرت بردًا، وقع الفندق على حافة القرية، وجد منظر جميل على الجبل، أحس منذ البداية بتحسن»[٢].

يقول فان دايك: «نريد الآن أن نفترض أنه توجد إلى جانب الربط بين قضايا كلية علاقات بين أجزاء القضايا أيضًا، أي: بين معاني الأفعال أو بين معاني الأسماء أو محيلاتها، وفي فقرتنا النصية يوجد (الإحالة المشتركة) التي ذكرت بين (هو) و(بيتر) في جـ١، جـ٣، جـ٧، وفي هذه الحالة يتعلق الأمر بتطابق المحيلات»[٣].

٧- علاقة التوقع

ويمثل لها (فان دايك) بهذا المثال: (لأن الفندق يقع على الشاطئ. توفر لبيتر منظر جميل على الشاطئ) وتوضيح ذلك أن من يسمع الجملة الأولى، وهي كون الفندق يقع على الشاطئ لابد أن يتوقع بخلفية معرفية مسبقة ما هو آت من معلومات؛ «إذ يفترض أن السامع يعرف هذه الواقعة بناء على القضية السابقة في التتابع أو بناء على القضايا

---

(١) راجع: فان دايك ، النص والسياق، صـ٧٧.

(٢) فان دايك ، علم النص صـ٥٩ - ٦٠.

(٣) فان دايك ، علم النص صـ٦٢.

التي تستنتج من ذلك منطقيًا أو تستنتج من خلال المعرفة العامة في العالم »[١].

ثانيًا: علاقة الربط أو السبك Cohesion

بداية – كي يوضح فان دايك مفهوم الربط أو السبك أو الاتساق كما ترجمه المترجم في كتابه (النص والسياق)[٢] – يفرق بين مصطلحين:

أولهما: الاتساق الذي يعرفه بأنه: « علاقة نصية قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلقة بتأويل جملة أخرى »[٣].

ويوضحه - أيضًا – بأنه «علاقات المعاني المعجمية والمرجعية وغيرها»[٤].

والثاني: «أما مصطلح الترابط الذي ناقشناه في الفصل السابق فهو يشمل في الظاهر جانبًا واحدًا من اتساق الخطاب، أعني العلاقة المباشرة ذات الاتجاه الثنائي بين تلازم القضايا ككل»[٥].

ويوضح أن «أن الجمل أو القضايا في كل خطاب قد تشكل كلاً متسقًا حتى ولو كانت جميعها لا ترتبط بكل جملة على حدة أو قضية قضية. وقد ترتبط على وجه خاص بأزواج دون أن يكون هناك تعلق بالمعنى الذي حددناه آنفًا. مثلاً عندما توجد علاقات بين أجزاء قضيتين أو أكثر»[٦].

وكي يبرهن على فكرته أخذ يحلل ثلاث قطع من قصة تحكي جريمة وسوف يكتفي البحث من خلال هذه القطع الثلاثة استنباط أبرز العلاقات - من وجهة نظره – التي تجعل المقطع متماسكًا من جهة ثم تماسك المقاطع الثلاثة من جهة أخرى، وقد جاءت هذه المقاطع على النحو التالي:

---

(١) المصدر السابق صـ٦٦ - ٦٧.

(٢) وقد تستعمل عبارات أخرى للدلالة على مفاهيم متقاربة، فقد استخدم كل من هاليداي Halliday وحسن Hassan سنة ١٩٧٦ مصطلح التئام Cohesion وإن كان أحيانًا في معنى أوسع مما نستخدم نحن فيه لفظ الاتساق، راجع: فان دايك، النص والسياق صـ١٧٩.

(٣) فان دايك ، النص والسياق صـ١٣٧.

(٤) المصدر السابق صـ١٧٩.

(٥) فان دايك ، النص والسياق صـ١٣٧.

(٦) المصدر السابق صـ١٣٧.

المقطع الأول:

«اتخذت كلير راسل طريقها إلى المكتب في (كلاريون) في هذا الصباح الباكر، وهي تشعر بالإعياء والكآبة، واتجهت توًا إلى غرفة العمل، فوضعت قبعتها، وزينت وجهها بأن ذرت عليه مسحوقًا ثم جلست إلى الطاولة. لقد كانت حقيبتها ممددة في ترتيب، وكانت منشفتها باردة كالثلج، والمحبرة مملوءة ، إلا أنها لم تكن راغبة في العمل»[(١)].

المقطع الثاني:

«لقد دفعت الحقيبة بعيدًا. وجعلت تحملق بعينها خارج النافذة. لقد كانت الشمس آنذاك حارة جدًا. وظهرت الشوارع وكأنها مليئة بالغبار، وكان المنظر الجميل في Fair view (اسم مدينة) في حاجة للمطر، فلقد كانت هذه المدينة تبدو وكأنها محترقة، وألقت بنظرة احتقار على المدينة الصغيرة الممتدة في غير نظام»[(٢)].

المقطع الثالث:

«وبينما هي جالسة هناك جعلت تفكر في هاري دوك، ولقد كانت تفكر في معظم ليلتها. وفي الحقيقة إنها تتأمل شخصين على التوالي: هاري دوك وبيتر. وكانت قد ألقت بنفسها على سرير ضيق محدقة في الظلام الدامس، فتذكرت جميع التفاصيل لما كان قد وقع لها، حتى أنها كان يمكنها أن ترى هاري دوك رأي العين: إذ كانت تتمثل قوة كتفيه، ورأسه الأسود الدقيق. وشاربه المقصوص بعناية، ولقد ذهب بها خيالها حتى أنها شعرت بالقوة مجسمة فيه. كان يكفي أن يمد يده لها حتى يمكنها أن تحتضنها بين يديها بشدة رغبتها فيه. وكانت تعلم أنه كان يعرف عنها ذلك: وهذا هو الذي كان يخيفها..» [(٣)].

يرى فان دايك أن ثمة علاقات ساهمت في اتساق وربط كل مقطع من المقاطع الثلاثة، كما أن هناك علاقات ساهمت في اتساق المقاطع الثلاثة مجتمعة.

فالعلاقات النصية في المقطع الأول جاءت على النحو التالي:

---

(١) المصدر السابق صـ١٤٣.

(٢) المصدر السابق صـ١٤٥.

(٣) فان دايك ، النص والسياق صـ١٤٧.

١ - (علاقة التضمن والانتماء) وتنطوي تحتها علاقة (الجزء – الكل) ثم علاق الملكية، ومثال علاقة (الجزء بالكل): غرفة العمل جزء من المكتب، والطاولة يمكن أن تكون جزءًا من غرفة المكتب. والوجه يمكن أن يكون جزءًا من شخص. ومثال علاقة الملكية تتجلى في أن القبعة تعتبر ملكية ممكنة لأنثى إنسانية[١].

٢ - (علاقة التطابق الذاتي) ويوضح هذه العلاقة التطابق بين «كلير راسل» وتوزيع الضمير المستتر في الأفعال المتعاقبة المتعلقة بها «تشعر، واتجهت، فوضعت، وزينت، ذرت، جلست.. وهو تطابق واضح بين الاسم والضمير المحيل إليه. أما الذوات الأخرى الواردة في المقطع فهي متعالقة ولكن بطريقة غير مباشرة، وهي: المكتب، غرفة العمل، قبعة، طاولة، محبرة.. [٢].

وإذا انتقل بنا الحديث إلى المقطع الثاني وجدنا أنه قد اتسق مع المقطع الأول، وذلك بورود الضمير (هي) المستتر أي بين هذا المقطع والمقطع الأول تطابق إحالي، واسطته الضمير (هي) وهو عنصر إحالي لعلاقة الإحالة. كما أن «تكرار» كلمة (الحقيبة) في المقطع يُعدُّ ورودها في المقطع الأول يساعد على اتساق المقطعين كما أن بين المقطع الثاني والمقطع الأول اتساق حيث علاقة تعالق المحمولات فالمحمول (تحملق بعينها خارج النافذة) متعالق مع المحمول (المكتب) و(لم تكن راغبة في العمل) [٣].

ثم يبحث فان دايك في العلاقة الجامعة بين المقطعين الأول والثاني خاصة أن المقطع الثاني تطرق إلى موضوع ذي أطر تختلف عن موضوع المقطع الأول بأطره فالمقطع الثاني تحدث عن أشياء مثل (الشمس، المطر، الشوارع، المدينة).

ولكي يأخذ فان دايك هذا الواقع الجديد بعين الاعتبار يشير إلى أن هناك تغيُّرًا في الموضوع، أي أن الخطاب في موضوعه في المقطع الثاني يدور حول شيء آخر مختلف. ثم يطرح هذا السؤال: «هل هذا التغيَّر مقبولاً، أي هل يمكن (التوصل) إلى الموضوع

---

(١) راجع السابق صـ ١٤٣.

(٢) راجع السابق صـ١٤٣.

(٣) فان دايك ، النص والسياق صـ١٤٥.

الجديد من خلال الموضوع السابق؟»[١].

وهكذا يصل إلى رابط بين الموضوعين، حيث يقول: «والعلاقة الرابطة للموضوعين وقع التعبير عنها بواسطة الجملة (هي) (قد حملقت بعينها خارج النافذة) مما يقتضى أنها أدركت شيئًا في الخارج»[٢].

ثم «إذا كان المكتب – العمارة جزءًا من المدينة وكانت للمدن شوارع.. كان ما يقتضيه إدخال مفهوم (خارجًا عن) قولك العمارة مخصصًا تقديم إطار المحيط الخارجي (من الشمس، والغبار، والمطر...) وكذلك إطار المدينة»[٣].

هذا عن اتساق وربط المقطعين الأول والثاني. أما المقطع الثالث فإنه يتعالق ويتسق بالمقطع الأول عن طريق الإشارة (هناك)، «وإنما يرجع إلى تحديد مكاني مقترن بموقع المرأة المذكورة في الجملة الأولى من هذا المقطع»[٤]، يقصد المقطع الأول.

كما أن المقطع الأخير تطرق إلى موضوع جديد تم إدراكه من خلال علاقة التذكر والاسترجاع، والذوات البشرية المدرجة في الموضوع، وهي (هارلي، وبيتر) وذوات غير ذلك مثل (السرير) ويرى فان دايك أن إدراج هذه الذوات منسجم مع العالم الفعلي عن طريق (علاقة ذهنية) هي التذكر والاسترجاع[٥].

وهكذا اعتمد فان دايك في اتساق المقاطع على مجموعة من العلاقات النصية وهي: (علاقة تطابق الذوات، علاقات: التضمن والانتماء (الجزء – الكل، الملكية)، علاقة الإطار، علاقة التطابق الإحالي، علاقة تعالق المحمولات، العلاقات الذهنية – التذكر والاسترجاع).

- علاقات ترتيب النص

ثمة مظهر آخر من مظاهر اتساق النص يراه فان دايك في الترتيب العادي للوقائع في النص. وأن أهم ما أشار إليه فان دايك فيم يتعلق بترتيب الوقائع وترتيب المتتاليات القضوية هو

---

(١) المصدر السابق صـ١٤٦.

(٢) المصدر السابق صـ ١٤٦.

(٣) المصدر السابق صـ ١٤٦.

(٤) فان دايك، النص والسياق صـ ١٤٧.

(٥) المصدر السابق صـ ١٤٧.

العلاقات التي تحكم هذا الترتيب، وهي: (العام – الخاص، الكل – الجزء، المتضمِن – المتضمَن، الكبير – الصغير، الخارج – الداخل، المالك – المملوك)[١].

فعلاقة (العام – الخاص) يمثل لها: (إنها ترى هاري دوك، إنها ترى كتفيه القويتين) ويذهب فان دايك إلى أنه من الممكن أن يحدث تغيير في الترتيب كأن يفسر شيء خاص بشيء عام، مثال ذلك: «تأخر بيتر مرة أخرى. لم يحدث أن حضر أبدًا في الوقت المحدد»[٢].

وعلى العموم يرى فان دايك أن الترتيب ليس صارمًا إلى درجة الاستحالة، بل يحتمل أن يحدث التغيير، ولكنه يكون مصحوبًا بنتائج تجعل التأويل مختلفًا من زاوية تداولية[٣]. وقد أعطى على ذلك التغيير ونتائجه أمثلة توضح فكرته[٤].

ثالثًا: البنيات الكبرى الشاملة للنصوص

فيما سبق تحدث فان دايك عن الترابط والاتساق، كما أبرز من خلال تتابعات جملية كوكبة من العلاقات اعتمدها النص في الترابط والاتساق. وكانت كلمة (تتابعات) مقصودة؛ حيث تحدث عن الترابط والاتساق بين جمل متفرقة، وليس من الضروري أن تكون هذه الجمل نصًا مكتملاً؛ومن ثم سماها: «تتابعات»[٥].

ولكنه عندما يتحدث عن الأبنية الكبرى للنصوص فهو (لا يهتم) بأوجه الربط بين جمل متفرقة وقضاياها، بل بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كلاً، أو على كل حال بالوحدات الكبرى للنص، ونطلق على هذه الأبنية العامة (الأبنية الكبرى)[٦].

«وبوجه عام توجد مستويات ممكنة مختلفة للبنية الكبرى في النص، بحيث يمكن أن يقدم كل مستوى أعلى (أعم) من القضايا في مقابل مستوى أدنى ... ونطلق على

---

(١) راجع السابق صـ ١٥٤.
(٢) المصدر السابق صـ ١٥٤.
(٣) فان دايك، النص والسياق صـ ١٥١، ١٥٢.
(٤) راجع السابق صـ ١٥١، ١٥٢.
(٥) فان دايك ، علم النص صـ ٤٥.
(٦) راجع السابق صـ ٧٤.

البنية الكبرى الأعم الأعلى في النص الكلي ببساطة البنية الكبرى للنص، على حين يمكن أن يكون لأجزاء نصية معينة أبنيتها الكبرى الخاصة بها، ونتيجة لذلك تتشكل بنية متدرجة ممكنة للأبنية الكبرى على مستويات متباينة»[١].

وعليه فمفهوم البنية الكبرى يبدو نسبيًا، فهو يميز بنية كبرى نسبيًا بالنظر إلى أبنية أخرى صغرى، وهذه الأبنية قد تحتوي كل منها على مجموعة من القضايا؛ فهي بالنسبة لكل قضية بنية كبرى.

ومن هذا المنطلق نكون في حاجة إلى قواعد تربط بين أبنية صغرى وأبنية كبرى، هذه القواعد من شأنها أن نضع نظامًا للنصوص التي تعدها النظرة العجلى سلسلة طويلة ومعقدة من العلاقات، فـ«القواعد الكبرى تنظم – إلى حد ما – معلومة النص المعقدة للغاية»[٢].

فالقواعد الكبرى – إذن – تقوم بدور مهم في تنظيم المعاني داخل النص، وإظهار الأساسي منها والثانوي، وما يجوز حذفه، ومالا يجوز، كما أنها تبرز هيكلة النص الأساسية، وذلك لأنها تقدم للمتلقي اختصارًا للنص، مما يعينه ويساعده على فهم المقاصد الرئيسة المؤدية إلى موضوع الخطاب.

وفي سبيل بيان أهمية القواعد الكبرى في الوصول إلى الأبنية الكبرى (موضوع الخطاب) قام فان دايك بتحليل مقاطع نصية منها المقطع التالي:

«ومن ثم فان السيد رفولو: Rufolo عندما أعد الحسابات الأولية مما يقوم به عادة البائعون وجد سفينة ضخمة، وأوقرها بأحمال مختلفة من السلع، دفع ثمنها من جيبه، وأبحر بها إلى قبرص. ولكنه حينما وصل تبين له أن كثيرًا من السفن الراسية هناك في المرفأحاملة نفس الأنواع من السلع التي جلبها هو نفسه إلى هذا المكان. ولهذا فلم يكن عليه فقط أن يبيع حمولته بأبخس الأثمان، وإنما كان من أجل أن يتخلص من بضاعته مضطرًا من الوجهة العملية لأن يوافق على المساومة على أي عرض مقدم

(١) المصدر السابق صـ٧٦.

(٢)فان دايك ، علم النص صـ٧٨.

لأمتعته مما قاده إلى حافة الإفلاس»[١].

يقول فان دايك: «وفي بادئ الرأي فإن موضوع هذا المقطع قد يعبر عنه بجملة كهذه : إن بائعًا حاول أن يتاجر لكنه أفلس بسبب المنافسة»[٢].

ويحلل فان دايك ذلك، بأن كونه (بائعًا)؛ لأنه أراد أن يتاجر فعليه أن يقوم بحساباته وأن يشتري البضائع وينقلها أو تنقل له. وكونه (حاول)؛ لأن البائع يبيع بأعلى مما قد اشترى به، وهذه هي أوجز صورة للمحتوى(الإطار - التجارة)، وكونه (أفلس) بسبب المنافسة؛ لأنه اكتشف أن هناك من حمل نفس البضائع بنفسه، فما كان عليه إلا أن يبيع حملوته بأبخس الأثمان، وعليه كذلك من الوجهة العملية أن يتخلص من تجارته[٣].

هذا أما عن القواعد التي أجراها فان دايك للوصول إلى البنية الكلية أو موضوع الخطاب فتتمثل فيما يلي:

أولاً: الحذف

ويراد بهذا الإجراء أن كل معلومة غير مهمة وغير أساسية يمكن حذفها «وهكذا يمكننا أن تختصر جملة: (مرت فتاة ترتدي ثوبًا أصفر) التي تضم القضايا التالي:

(أ) مرت فتاة (ب) ترتدي ثوبًا (جـ) كان الثوب أصفر اللون.

ويمكن اختصار هذه المجموعة إلى (أ) و(ب)، أو إلى حدها الأدنى وهو (أ) فقط، إن كان تفسير النص لا يحتاج إلى معرفة أن الفتاة كانت ترتدي ثوبًا. وليس بنطلونًا مثلاً، وأن الثوب كان أصفر وليس أسود اللون؛ إذ إننا نعتبر هذه المعلومات في تلك الحالة قليلة الأهمية بالنسبة للنص الكامل وليس معنى هذا أن المعلومات في ذاتها ليست مهمة، بل يدل فحسب على أنها ثانوية بالنسبة لدلالة النص[٤].

---

(١) فان دايك ، النص والسياق صـ ١٩٢.

(٢) المصدر السابق صـ ١٩٢.

(٣) راجع: فان دايك ، النص والسياق صـ ١٩٣.

(٤) انظر: فان دايك ، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات صـ ٨١ - ٨٢.

ثانيًا: الاختيار

وفي هذا الإجراء – أيضًا – يحدث حذف، حيث يحذف كم من المعلومات غير أنه توجد هنا علاقة بين سلاسل القضايا على نحو أكثر وضوحًا، ومثال ذلك:

(أ) عدا بيتر إلى سيارته (ب) ركبها (جـ) سافر إلى فرانكفورت.

فيمكننا وفق القاعدة الثانية أن نحذف القضيتين (أ)، و(ب)؛ لأنهما قيود أو أجزاء، أو فرضيات مسبقة، أو توابع لقضية أخرى لا تحذف وهي (جـ)، وبناء على معرفتنا العامة حول النقل وقيادة السيارة ندرك أن المرء يجب **أولاً** إذا رغب في السفر من مكان إلى آخر أن يتجه إلى السيارة ثم يركبها[1]، ومن ثم فإن اختيار جملة واحدة مثل: **(سافر إلى فرانكفورت)** يفهم منها أن كل من يريد السفر سوف يتوجه إلى سيارة ليركبها.

ثالثًا: التعميم:

وفي هذا الإجراء – أيضًا – يتم الحذف، ولكنه يختلف عن الحذف السابق من جانبين:

أولهما: أن الحذف في هذه القاعدة للمكونات الأساسية والجوهرية وليس الثانوية فقط.

والثاني: هو إحلال قضية جديدة محل القضايا المبسوطة، بحيث تشتمل هذه القضية الجديدة على القضايا المحذوفة جميعًا. ويمثل لذلك:

(أ) على الأرض دمية (ب) على الأرض قطار خشبي (جـ) على الأرض مكعبات.

فيمكن أن تحل قضية جديدة محل هذه القضايا، وهي: **على الأرض لعب**[2]، فمن الواضح أن القضية الجديدة قد اشتملت على مفهوم القضايا القديمة (أ، ب، جـ)؛ لأنها أعم منها، في الوقت الذي لم يتأثر المعنى بذلك.

رابعًا: التركيب أو الإدماج:

يرى فان دايك أن هذا الإجراء يشبه الإجراء الثاني في الوظيفة، بحيث تحل معلومة

---

(١) فان دايك، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات صـ ٨٢ - ٨٣.

(٢) راجع السابق صـ ٨٥.

جديدة محل معلومة **قديمة** ولا تحذف ولا تختار.. كما في القضايا التالية:

(أ) ذهبت إلى محطة القطار.(ب) اشتريت تذكرة سفر. (جـ) اقتربت من الرصيف.

(د) صعدت إلى القطار. (هـ) تحرك القطار .

فيمكن اختزال ذلك كله في قضية واحدة هي: **ركبت القطار**[١].

ويرى البحث أن هذا الإجراء «**الإدماج**» أكثر شبهًا بالإجراء الثالث (**التعميم**) لا كما ذهب فان دايك؛ حيث إنه في كليهما يؤتى بقضية جديدة تحتوي على قضايا قديمة، وأن هذه القضية الجديدة تحل محل القضايا القديمة، وهي من خارج سلسلة القضايا؛ ومن ثم أرى أن تختزل هذه الإجراءات أو هذه القواعد في ثلاثة فقط، هي: **الحذف، والاختيار، والتعميم**.

على كلٍّ، هذا ــ إلى حد ما ــ ما توصل إليه فان دايك وتناوله من العلاقات النصّية . وإلى رؤية جديدة حول ظاهرة العلاقات النصية، جاءت مرصودة في نقاط مرتبة فلينتقل البحث إلى ايزنبرج.

***

(١) راجع السابق صـ ٨٤.

ثالثًا: العلاقات النصية من منظور ايزنبرج

شغل بعض المنظرين في المجال الدلالي برصد العلاقات الدلالية بين جمل النص وقضاياه، ومن هؤلاء (ايزنبرج)، حيث استطاع في دراسته للتماسك الدلالي للنص أن يميز بين اثنتي عشرة علامة دلالية Semantic marking مميزة بين الأبنية الصغرى Micro structure للنص، وهي – كما ذكرها الدكتور محمد العبد – على النحو التالي[1]:

(١) **الإسناد إلى متقدم**، نحو قولنا: «دخلت إلى الغرفة مسرعًا. الحجرة كانت حديثة الدهان» فكلمة (الحجرة) تشير إلى ما تشير إليه كلمة (الغرفة) وتقوم كلمة (**الحجرة**) بوظيفة الموضوع (**المسند إليه**) في الجملة الثانية. وبين هاتين الكلمتين تناظر.

(٢) **الارتباط السببي**، نحو قولنا: «لم يضيء المصباح، فقد انقطع الخط الكهربائي. فالفعل (يضيء) في الجملة الأولى يتعلق بـ(**الخط الكهربائي**) في الجملة الثانية تعلقًا سببيًا.

(٣)**الارتباط لوجود دافع أو علة**، نحو قولنا: ذهب هانز إلى البدروم، إنه سوف يحضر فحمًا. فالدافع إلى إحضار الفحم هو الذي حدا بـ(**هانز**) إلى الذهاب إلى البدروم.

(٤) **التخصيص**، نحو قولنا: وقعت أمس مصيبة – لقد انكسر ذراع بيتر» فهنا نلاحظ أن بين الكلمتين (**مصيبة**) و(**انكسر ذراع**) علاقة تضمن، من حيث إن كلمة (**مصيبة**) تتضمن أنواع الحوادث الممكنة.

(٥) **التفسير التشخيصي**، نحو قولنا: «لقد قذف الجو بصعيقة، حتى إن أنابيب المدفأة انقطعت فالتماسك الدلالي بين هاتين الجملتين يبنى على أساس التناظر العكسي بين العلاقات الدلالية المميزة.

(٦) **نظام ما وراء اللغة**، ومثال ذلك قولنا: اشترى أخي سيارة. سقط بيتر من فوق السلم. وانكسر ذراع خالتي – لقد عرفت هذا كله صباح أمس» فالأحداث التي نخبر عنها لا ترتبط فيما بينها ارتباطًا واضحًا، حتى تأتي (هذا كله) في العبارة الأخيرة، فتدل

---

(١) نقلاً عن د. محمد العبد ، اللغة والإبداع الأدبي صـ ٤٠ إلى ٤٣.

على أن المقصود هنا مجرد الإخبار عن عدة أحداث وقعت.

(٧) **الارتباط الزمني**، ومن ذلك قولنا: تقدم لاعب خط الوسط إلى الأمام. فأخذ المدافع الخصم الكرة.

ففي المثال الأول أشارت الكلمات الاصطلاحية :**لاعب الوسط، والمدافع** إلى حقل دلالي معين يشتمل على دوال متناظرة، ويدل الفعل (**أخذ**) في الجملة الثانية على أن لاعب خط الوسط كانت معه الكرة عندما تقدم إلى الأمام، وهذا مما يخلق بين الجملتين تناظرًا دلاليًا.

(٨) **الارتباط الافتراضي**، ومثال ذلك قولنا: ذهب الصبي إلى السينما. إن شخصًا ما أعطاه نقودًا ، ففضلاً عن الارتباط الإحالي بين (الصبي) والضمير في (**أعطاه**)، نجد تناظرًا بين كلمة (**نقود**) وهي رسم الدخول في هذه الحالة وبين الدال السابق (سينما).

(٩) **التقابل العكسي**، ويمثله قولنا: بيتر لطيف. ولكن أخاه على العكس من ذلك كذاب. فنهاك نوعان من الارتباط الدلالي، أحدهما: يحدث من خلال صلة القرابة بين الأخوين.. والآخر عن طريق التقابل بين (**شخص لطيف**) و(**كذاب**) واللذين يصفان تناظرًا ضديًا.

(١٠) **التطابق بين الإجابة والسؤال**، ومثال ذلك قولنا: ماذا فعلت ليلة أمس؟ ذهبت إلى النادي . والسؤال هنا سؤال من فعل شخص، وقد تحدد هذا الفعل بالإجابة (**الذهاب إلى النادي**).

(١١) **المقارنة**، نحو قولنا: يمتلك بيتر معطفًا طويلاً. بينما يمتلك أخوه معطفًا أطول منه بعض الشيء . وقع الارتباط الدلالي من خلال كلمة (**معطف**) كما حدث من خلال الكلمتين (**بيتر**) و(**أخ**).

(١٢) **الإضراب عن قول سابق**، ويمثل لذلك قولنا: رأي هانز ماريا.لا بيتر هو الذي رأى ماريا . فهنا تناظر دلالي تركيبي جزئي بين القولين فضلاً عن أن النفي هنا يخلق تناظرًا دلاليًا جزئيًا بين فعلين.

هذا مجمل ما توصل إليه ورصده ايزنبرج من العلاقات النصية . ولينتقل البحث إلى أوجين نايدا لنرى وجهة نظره فيما جمعه من العلاقات .

رابعًا : العلاقات النصية من منظور أوجين نايدا

جمع أوجين نايدا ما تفرق من علاقات في كتب اللسانيات النصية، وقد عرضها – فيما سيتضح – عرضًا مركزًا وجيدًا في دراسة له تحمل عنوان «العلاقات الدلالية بين البنيات النووية» Semantic Relations between Nuclear structures وفي هذه الدراسة يركز نايدا على عرض العلاقات الدلالية فيما بين مفهومين أو بنيتين أو حدثين. وقد أحصى الباحث إبان هذا الجمع تسعة عشر نمطًا من أنماط العلاقات النصية، وقد صنفت على النحو التالي[١].(*)

(أ) **علاقات الربط** coordinate، وتنقسم إلى:

١ - علاقات إضافية. ٢ - علاقات ثنائية.

* والعلاقات الإضافية تنقسم إلى : (متكافئة، ومختلفة).

* والعلاقات الثنائية تنقسم إلى: (إبدالية، وتقابلية، ومقارنة).

(ب) **علاقات التبعية أو الاعتماد** Subordinate وتنقسم إلى:

١ - علاقات مؤهلة. ٢ - علاقات منطقية.

* **والعلاقات المؤهلة** تنقسم إلى:

١ - المحتوى ٢ - الإجمال – التفصيل

٣ - الوصف: وصف الكل أو الجزء، الكيفية – المحيط أو الإطار: (الزمان – المكان – الظرف).

* **والعلاقات المنطقية** تنقسم إلى:

---

(١) نقلاً عن الدكتور جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية صـ ١٤٣ وما بعدها.

(*) وقد سبق الدكتور جميل عبد المجيد إلى محاولة ربط الفنون البديعية المعنوية بالعلاقات الدلالية التي تناسبها عند أوجين نايدا في بحثه المشار إليه آنفا.

هذا، وسوف أنحي البحث الحديث عن علاقة المحتوى، وعلاقة الوصف، وهما من تقسيمات العلاقات المؤهلة المندرجة تحت تقسيم علاقات التبعية أو الاعتماد؛ وذلك لأنها علاقات في حدود الجملة، ولا تتعداها إلى جملة أو قضية أخرى تليها. وينطبق ذلك أيضًا على علاقة المقارنة، وهي من تقسيمات العلاقات الثنائية؛ وذلك لما ذكر من سبب.

١ - المسبب – الأثر ٢ - السبب - النتيجة
٣ - الوسيلة – النتيجة
٤ - الوسيلة - الفرض ٥ - الشرط – الجواب
٦ - الأساس – التحقق
٧ - المفترض - النتيجة.

فالعلاقات الإضافية – المتكافئة تشتمل على تعبيرين متماثلين تمامًا مثل: (**هو لم يمكث، هوغادر**) فالعلاقة الدلالية بين هذين التعبيرين هي علاقة تكافؤ؛ لأنها تعبر عن شيء واحد، ولكن في أشكال سطحية مختلفة[١]، «وهذا ما يورده دي بوجراند ودريسر تحت مصطلح (إعادة الصياغة Paraphras) أي تكرار المحتوى، مع تغيير التعبير Expression»[٢].

أما العلاقات الإضافية – المختلفة، فهي أكثر تعقيدًا؛ فقد تتضمن بنيات متوازية، سواء لمشارك واحد أو لمشاركين مختلفين، كما هو في هذين المثالين: (لقد نحى المجلة جانبًا، وأخذ كتابًا)، (كانت تثرثر في المسرة، وهو كان يعمل في «البدروم»[٣].

فهنا إضافة دلالية مختلفة عن السابقة عليها، فثمة أفعال أو أنشطة متوازية تصدر عن شخص واحد (**تنحية المجلة / / أخذ الكتاب**)، أو تصدر عن شخصين مختلفين (**الثرثرة / / العمل**)[٤]، وعلاقة الإضافة المختلفة تدخل فيما يعرف (بالوصل) وله في اللغة الإنجليزية أدواته، مثل: (الواو) **And**، وعلاوة على ذلك **Moreover**، وأيضًا **Also**، وبالإضافة **Inaddition**، وفوق ذلك**besides** ، ومثل هذه الأدوات تعد مفاتيح.. بها تنعكس العلاقة الدلالية على سطح النص[٥].

أما العلاقات الثنائية، فيها درجة من التفاعل المتبادل، أو التداخل، فالعلاقة الإبدالية تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين، أحدهما بديل للآخر مثل: «إما أن

(١) نقلاً عن د. جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية صـ١٤٤.
(٢) المرجع السابق صـ ١٤٤.
(٣)المرجع السابق صـ ١٤٤.
(٤)المرجع السابق صـ ١٤٤.
(٥)المرجع السابق صـ ١٤٥.

أرسل لك الطرد أو يرسله لك جيم غدًا». وهذه العلاقة تدخل فيما يعرف بـ(الفصل)، ومن أدواته أو: **Or** - إما... أو... **Either or** [١].

وأما العلاقة التقابلية، فهي تربط بين طرفين أو موقفين أو حدثين متقابلين، ولها أدواتها في اللغة الإنجليزية، مثل: لكن But، ومع أن However، ومع ذلك Nevertheless، وغير ذلك. ويدخل في هذه العلاقة ما يعرف بـ(الربط المنعكس Contrajunction، أي الربط بين أشياء تبدو متضاربة Incongruous. وذلك كما في المثال التالي[٢]:

كانت المعوقات في رحلة المحادثات واضحة، ولكن في الدقيقة الأخيرة توصل **كارتر** إلى نصر في مجال الدبلوماسية الرئاسية.

أما علاقة الإجمال – التفصيل، وهي من تقسيمات العلاقات المؤهلة، فهي تعني إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره أو تخصيصه، مثل: «كان أبوه بخيلاً جدًا. فما كان لينفق عشرة قروش لشراء «بيبسي».

ففي العبارة الثانية تفصيل أو تفسير للحالة الإجمالية المثبتة في العبارة الأولى. وهذه العلاقة – كثير ما - تقع في مستويات أعلى في النص، والعديد من الكتب المدرسية تقوم على هذا المبدأ؛ حيث يقدم الجزء الأول المفهوم الأساسي، بينما تقدم بقية الأجزاء أمثلة تفصيلية أو تفسيرية للعرض الإجمالي[٣].

أما العلاقات المنطقية فإنها قد صنفت في عدة طرق مختلفة من قبل المناطقة وعلماء فقه اللغة، لكن نايدا اختصرها في الأنماط السبعة السابق إجمالها، ويوضح نايدا هذه الأنماط من خلال الأمثلة التالية[٤]:

- ذهاب جون إلى نيويورك تسبب له في مقابلة ماري. **(السبب – الأثر)**.
- لأن جون أراد مقابلة ماري فقد ذهب إلى نيويورك. **(السبب – النتيجة)**.

---

(١) د. جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : صـ ١٤٥.
(٢) المرجع السابق صـ١٤٥.
(٣) المرجع السابق صـ١٤٦.
(٤) المرجع السابق صـ١٤٧.

- بالذهاب إلى نيويورك قابل جون ماري. (**الوسيلة – النتيجة**).

- ولو كان جون ذهب إلى نيوريوك لكان قد قابل ماري. (**الشرط – الجواب**).

- بما أن جون ذهب إلى نيويورك، فمن المؤكد أنه يقابل ماري (**المفترض – النتيجة**).

ويقرر أوجين نايدا – كما يقول الدكتور جميل عبد المجيد – في ختام عرضه لهذه العلاقات الدلالية عدة أمور، منها[1]:

أولاً: أن هذه العلاقات قابلة للتطبيق في مختلف اللغات، حتى اللغات غير الشائعة، مثل لغة البوشمان في جنوب غرب أفريقيا، ولغة الأنجا في غينيا الجديدة.

ثانيًا: أنه قد يتعدد الأسلوب الذي يعبر به عن علاقة دلالية أو أخرى.

ثالثًا: تختلف درجة وضوح هذه العلاقات من لغة إلى أخرى.

رابعًا: قد تدخل بنية واحدة في أكثر من علاقة مع بنيات عديدة.

خامسًا: وهو الأهم؛ حيث قابلية هذه العلاقات للتطبيق على مستويات عديدة من بنية الخطاب: الجمل Sentence، والفقرات Paragraphs، والأجزاء Sections، والفصول Chapters، والمجلدات Volumes.

وبعد، فقد تناول هذا الفصل وجهات النظر المتباينة حول الظاهرة المدروسة موضوع البحث «العلاقات النصية...»، وذلك من خلال المنظورين: التراث العربي، وبعض الدارسين المحدثين.

ويؤكد البحث أن الحديث عن العلاقات النصية في هذا الفصل لم يكن مقصودًا في ذاته، وإنما – كما أوضح البحث من قبل – كان من منطلق عرض وبيان ما كان من جهدين أو فكرين: فكرٍ ماضٍ لم يسعفه انشغاله بالتحليل والممارسة النصية تشكيلَ نظرية نصية، وفكرٍ حاضر يحاول أن يشكل قوالب علمية من أجل أن تكتمل النظرية.

***

(١) انظر: د. جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية صـ ١٤٧- ١٤٨.